ظاهرة التخفي في زي الرجال عند الراهبات المصريات في العصر البيزنطي

د. نها عوض محمود العجمي*

كلية التربية، جامعة المنصورة، مصر

noha79@mans.edu.eg

الملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة تخفي الراهبات في زي الرجال في مصر في العصر البيزنطي كأحد مظاهر تحدي القيود المجتمعية والدينية التي قيدت مشاركة النساء في مجتمعات زهدية أكثر صرامة. مما أدى إلى إقصائها من الأماكن المقدسة كالصحارى، التي اعتُبرت حكراً على الرجال المتنسكين. في ظل هذه التوجهات، لجأت بعض النساء إلى التنكر كرجال أو الادعاء بأنهن خصيان للدخول إلى الأديرة أو التنسك في الصحراء، متخطيات القيود المفروضة عليهن. يهدف البحث إلى تحليل العلاقة بين الدين والنوع الاجتماعي، وكيف لعبت البيئة الثقافية والاجتماعية دوراً حاسماً في انتشار هذه الظاهرة، واستكشاف الدوافع الاجتماعية والدينية والنفسية التي دفعت النساء إلى التنكر، والتحديات التي واجهتهن، بالإضافة إلى دراسة تأثير هذا السلوك في إعادة تشكيل المفاهيم الثقافية والدينية المتعلقة بالهوية، مما يكشف عن جانب مهم من النضال النسائي لتحقيق الذات الروحية والمساواة الدينية في تلك الحقبة التاريخية. ويُبرز البحث قدرة النساء على تجاوز القيود المجتمعية باستخدام استراتيجيات مبتكرة للتعبير عن رغبتهن في المساواة الروحية والاندماج الكامل في الحياة الدينية. وبالرغم من رفض الكنيسة الرسمي لهذه الظاهرة، إلا أن بعض رجال الدين تعاملوا معها بحكمة، مما يعكس الصراع بين القيم المجتمعية التقليدية، وسعي النساء لتحقيق الحرية والمساواة الروحية. مما يقدم إضافة مهمة للدراسات المتعلقة بالنوع الاجتماعي والدين في السياقات التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الرهبنة، النساء، التنكر، سير قديسات، مصر البيزنطية.

---

* مدرس تاريخ العصور الوسطى، قسم المواد الاجتماعية، كلية التربية، جامعة المنصورة.

Abstract:

The Phenomenon of Concealment among Egyptian Nuns in the Byzantine Era

Noha Awad Mahmoud Al-Agamy

Faculty of Education, Mansoura University, Egypt

noha79@mans.edu.eg

This study examines the phenomenon of nuns disguising themselves as men in Byzantine Egypt as a means of challenging societal and religious restrictions that limited their participation in stricter ascetic communities. These restrictions often excluded women from sacred spaces, such as deserts, which were considered exclusively for male ascetics. In response, some women resorted to disguising themselves as men or claiming to be eunuchs to gain access to monasteries or to live as hermits in the desert, thereby overcoming the barriers imposed on them. The research aims to analyze the relationship between religion and gender and to explore how the cultural and social environment played a decisive role in the emergence of this phenomenon. It also investigates the social, religious, and psychological motivations that drove women to disguise themselves, the challenges they faced, and the impact of this behavior on reshaping cultural and religious concepts of identity.

The study reveals a significant aspect of women's struggle to achieve spiritual self-fulfillment and religious equality during that historical period. The research highlights women’s ability to overcome societal restrictions by employing innovative strategies to express their desire for spiritual equality and full integration into religious life. Despite the official rejection of this phenomenon by the church, some clergy approached these cases with wisdom, reflecting the tension between traditional societal values and women’s pursuit of spiritual freedom and equality.

Keywords: Monasticism, Women, Disguise, Lives of Saints, Byzantine Egypt.

المقدمة:

تتناولت الدراسة ظاهرة ارتداء الراهبات لزي الرجال في مصر في العصر البيزنطي، كإحدى الوسائل التي تبنتها النساء لتحقيق الانغماس الكامل في الحياة الروحية والزهدية، وهي محاولة لتجاوز الفوارق الجسدية التي فرضتها الأعراف المجتمعية والدينية، فارتداء الزي الذكوري لم يكن مجرد وسيلة تنكر، بل كان تعبيراً عن رغبة عميقة في التخلي عن الهوية الجسدية، والانصهار في هوية دينية بحتة، محاكيةً الأسلوب الرهباني التقليدي المرتبط بالذكور، ومن خلال هذا السلوك سعت الراهبات إلى التحرر من المظاهر الدنيوية وتجسيد قيم الزهد والتقشف، مما مكنهن من المشاركة في الأنشطة الدينية التي كانت حكراً على الرجال، وعكس قوة إرادتهن في مواجهة القيود المجتمعية.

وتسلط الدراسة الضوء على العلاقة المعقدة بين الهوية الاجتماعية والدين في تلك الحقبة، حيث عكس ارتداء زي الرجال تحدياً واعياً للصور النمطية التي قصرت الأدوار الدينية الرئيسية على الرجال، فكانت هذه الظاهرة تجسيداً لتطلعات النساء نحو المساواة الروحية، وكسر القيود التقليدية التي حددت أدوارهن في المجتمع البيزنطي، ويكشف هذا السلوك عن تصور متقدم للهوية الروحية التي تفوقت على الاعتبارات الجسدية والاجتماعية، مما أتاح للراهبات فرصة للتفرغ الكامل للحياة الدينية، معيداً النظر في مفهوم النوع والهوية ضمن السياق الديني والثقافي في تلك الفترة.

ويستند البحث إلى الإطار النظري والتاريخي الذي وضعته الأبحاث والدراسات السابقة في مجال التاريخ الرهباني والسير الذاتية للقديسين في مصر في العصر البيزنطي، ودور المرأة في المسيحية المبكرة، لكنه يتعمق في زاوية خاصة تتعلق بسرية الهوية والتخفي، موضحاً كيف استخدمت النساء وسائل غير تقليدية، مثل التخفي في زي الرجال، للتغلب على القيود الاجتماعية وتحقيق مكانة دينية واجتماعية متقدمة، مما يضيف أبعاداً جديدة لفهم أعمق للأسباب الاجتماعية والدينية والنفسية التي دفعت هؤلاء النساء إلى التخفي، علاوة على ذلك، يقدم البحث رؤى جديدة حول التفاعل بين الدين والمجتمع، ويسهم في تعزيز فهم الأدوار الدينية والاجتماعية للمرأة في فترة تاريخية حاسمة.

تُعد قصص النساء في المسيحية المبكرة، بخاصة ناسكات الصحراء، قصص معقدة ذات طابع خاص، فالعيش كناسك يعني تجاوز التمييز الجسدي، حيث يرتقي الناسك الحقيقي بنسكه فوق القيود التي يفرضها الجسد، وكان الهدف من النسك هو السمو الروحي والتحرر من مظاهر الحياة المادية، ما سمح للنساء الناسكات بتخطي الحدود التقليدية التي كانت تميز بين الجنسين، فناسكات الصحراء مثّلن نموذجاً للزهد والتفرغ الكامل لله، مُجسّدات رغبة في النقاء الروحي والتوحد بالله بعيداً عن قيود العالم الخارجي[1].

لم يكن التنسك مقتصراً على الرجال في المسيحية المبكرة، بل شمل النساء أيضاً اللاتي اختَرن حياة الزهد والانعزال، فبدأت رهبنة العذارى منذ وقت مبكر في تاريخ الكنيسة، ومرت بمراحل متعددة مماثلة لتطور رهبنة الرجال. في البداية، كانت العذارى يمارسن العبادة داخل منازلهن، محافظات على الطهارة والبتولية مع قراءة الكتب المقدسة. لاحقاً، ظهرت بيوت خاصة للعذارى، حيث اجتمعن لممارسة الزهد والعبادة جماعياً. وفي المرحلة الأخيرة، تأسست أديرة للعذارى، أبرزها دير القديس باخوميوس في طبانسين الذي أنشأه لأخته مريم، وضم 400 راهبة، مما يعكس انتشار رهبنة العذارى ونموها[2].

---

[1] Krawiec, R., *Shenoute and the Women of White Monastery: Egyptian Monasticism in Late Antiquity*, Oxford, Oxford University Press, 2002, p. 5; Roberts, C. M., *Virginity and Marriage in the Early Christian Church*. Master's thesis, University of Georgia, 2016, pp. 4-5;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، 2000م، ص 138؛ بولين تودري، رهبنة البنات في الفترة من القرن الثاني إلى القرن الثامن الميلادي، مجلة راكوتي، جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية، الإسكندرية، عدد 2، 2006م، ص 42 – 45؛ عبد العزيز رمضان، "صورة المرأة في الأدب الرهباني خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، مج 31، ع 4، 2014م، ص 241– 282.

[2] Coquin, R. G., "Tabennese". In *The Coptic Encyclopedia*, edited by Aziz S. Atiya, Vol. 7, CE:2197a-2197b. New York, MacMillan, 1991; Wilfong, T.G., *Women of Jeme: Lives in a Coptic Town in Late Antique Egypt*. Ann Arbor, Michigan, University of Michigan Press, 2002, p. 10;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 68.

وكان النسك والتبتل معروفاً لدى شعوب الحضارات القديمة، فلم تكن المسيحية أول من استحدثت فكرة البتولية، ولا يُقصد بالبتولية الامتناع عن الزواج فقط، بل تعني الانقطاع الكامل والتفرغ لله. كذلك، لا يمكن اعتبار البتولية تقليلاً من شأن الزواج، الذي يُعد سراً مقدساً، بل هي اختيار للعزوبية الدائمة. لم يكن التنسك مقتصراً على الرجال في المسيحية المبكرة، بل شمل النساء أيضاً اللاتي اختَرن حياة الزهد والانعزال. بالرغم من أن حياة العزلة لم تكن فرضاً عليهن فإن كثيراً منهن استطعن أن يحققن حياة التنسك داخل بيوتهن أو في جماعات صغيرة من العذارى المؤمنات، كما اختارت بعضهن العيش كمتوحدات في الصحارى، بينما لجأت أخريات إلى دخول أديرة الرجال متخفيات في هيئة خصيان وبأسماء ذكورية[1].

وقد مثّلت هؤلاء النسوة أمثلة فريدة في التضحية والشجاعة، مقدمات نماذج بطولية تجسد الإرادة القوية والرغبة العميقة في التفرغ للعبادة والخلاص الروحي، فكانت تضحياتهن انعكاساً للعزيمة والإخلاص، مشابهة لتلك التي يقدم عليها أشجع الرجال؛ لتحقيق كمال الروح وطهارة الفكر والجسد، فالبتولية تمثل تحرراً من فكرة الزواج الدنيوي، وتقود إلى "الزواج السماوي" مع المسيح؛ حيث يُعد نذر البتولية بمثابة عقد زواج لا رجعة فيه مع المسيح، يمثل اتحاداً روحياً بين العذراء والكلمة المقدسة [2].

ولتاريخ الرهبنة والنسك النسائي دور طويل في تطور المسيحية، بالرغم من ندرة توثيقه. فقد أدت النساء دوراً مهماً في النسك المسيحي المبكر في مصر وفي نشوء الحركة الرهبانية، حيث عملن كناسكَات وراهبات[3]. شهدت مصر تأسيس عدد من

---

[1] Swan, L., *The Forgotten Desert Mothers: Sayings, Lives, and Stories of Early Christian Women*. Paulist Press, 2001, p. 10.

[2] Vogt, K., "La moniale folle du monastère des Tabennésiotes: Une interprétation du chapitre 34 de l'historia Lausiaca de Pallade," in *Women's Studies of the Christian and Islamic Traditions*, Dordrecht, Springer, 1993, pp. 193-216. https://doi.org/10.1007/978-94-011-1664-0_4; Cloke, G., *This Female Man of God: Women and Spiritual Power in the Patristic Age, AD 350-450*, London and New York, Routledge, 1995, p. 8; Krawiec, *Shenoute and the Women of White Monastery*, p. 5; Roberts, *Virginity and Marriage*, pp. 4-5;

ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، 2007م، ص 87.

[3] ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 78– 79.

بيوت العذارى خلال القرن الثالث الميلادي، والتي كانت تحت إشراف الكنيسة. اختارت هؤلاء العذراوات حياة التبتل والتفرغ، مفضّلات العيش في نسك وتدريب أنفسهن على حياة القداسة. فقد كرسن حياتهن للعبادة ولخدمة المجتمع، فكان دورهن بارزاً في رعاية الأرامل والأيتام والمرضى والمسنين. شكلت هذه البيوت مجتمعات صغيرة من النساء الملتزمات بالزهد والعطاء، حيث كنّ مثالاً للإخلاص الروحي والتفاني في خدمة الآخرين، مما ساهم في دعم الفئات المستضعفة ونشر قيم الرحمة والمحبة المسيحية[1].

وقد تباينت دوافع النساء للنسك والرهبنة عن دوافع الرجال، فقد كان الدافع الأساسي لهن هو السعي لإرضاء الله وتحقيق الكمال الروحي، مستجيبات لنصائح بولس الرسول، الذي أوصى بتوفير بيوت للعذارى والأرامل الراغبات في حياة التبتل، تكون تحت إشراف الكنيسة، وقد رفضت بعض النساء فكرة الزواج بشكل كامل، مفضّلات حياة البتولية ليصبحن "عرائس للمسيح" Brides of Christ[2]، متفرغات للعبادة والخدمة الروحية، كما لعبت الأوضاع الاجتماعية المتردية والفساد الأخلاقي دوراً مهماً في دفع العديد من النساء إلى هذه البيوت، حيث وجدْن فيها ملاذاً لتحقيق نقاء الروح والابتعاد عن مغريات المجتمع، مما جعل هذه الحياة بالنسبة لهن وسيلة لتحقيق الطهارة والسمو الروحي[3].

---

[1] رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 137؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 79.

[2] في الأدب المسيحي المبكر، استخدم البابا أثناسيوس لقب "عرائس المسيح" لتأكيد أن البتولية هي أسمى أشكال الزواج الروحي، دون معارضة للزواج التقليدي. حياة العذراء كانت تحضيراً دائماً لعرسها السماوي واتحادها الأبدي مع المسيح، حيث تحصل على ملكوت السماوات وترتقي لمقام ملائكي. في بدايته، لم يكن هذا المفهوم مقتصراً على النساء، لكنه اكتسب تدريجيًا طابعًا أنثويًا. العروس كانت مطالبة بتنفيذ إرادة العريس السماوي من خلال النسك والعفة، مع تجنب الحديث إلى الرجال. فرض عليها الاعتدال في الحياة اليومية، حتى في النظافة الشخصية، مع تشجيع التأمل المستمر في الكتاب المقدس كوسيلة لتحقيق الجمال الروحي الداخلي انظر:
Castelli, E., "Virginity and Its Meaning for Women's Sexuality in Early Christianity," *J. Fem. Stud. Relig.*, 2 (1986), pp. 61-88; Elm, S. K., "The Organization and Institutions of Female Asceticism in Fourth Century Cappadocia and Egypt." D. Phil. diss., Oxford University, 1986, pp. 121, 232.

[3] Roberts, *Virginity and Marriage*, pp. 8-9;

ففي تاريخ الكنيسة المبكر، استخدم مصطلح "العذارى" للإشارة إلى الرجال والنساء المتبتلين، لكن أثناسيوس الرسول خص النساء فقط بهذا المصطلح في كتاباته، بينما استُخدم مصطلح "البتولية" للتعبير عن الامتناع عن العلاقات الجنسية لكلا الجنسين، فكانت العذراء تُعرف سواء عاشت حياة النسك بشكل مستقل أو ضمن مجتمع العذارى. وفقاً لأثناسيوس[1]، لم تكن العذراء مجرد فتاة التزمت العفة، بل رفضت الزواج تماماً حتى قبل بلوغ السن القانوني، وهو الثانية عشرة وفقاً للقانون الروماني[2].

المعلومات المتوفرة عن حياة العذارى في القرنين الثاني والثالث في مصر قليلة وغير دقيقة. لم تتضح الصورة بشكل كامل إلا في القرن الرابع الميلادي، حيث تُعد كتابات أثناسيوس المصدر الأساسي لتنظيم نسك العذارى في تلك الفترة. من خلال هذه الكتابات، يمكننا التعرف على أسلوب الحياة الذي حدده أثناسيوس للعذارى، بالإضافة إلى الأنشطة المرتبطة بهن. إلى جانب كتابات أثناسيوس عن عذارى الإسكندرية، نستمد معلوماتنا أيضاً من سير القديسين ومن أقوال الآباء[3].

متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1995م، ص 43؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها، ص 81؛ محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كليـــة الآداب بقنـــا، مصر، مج 9، ع 10، 1997م، ص 346 – 379.

[1] أصبح اسقفاً للاسكندرية في عام 328م. وقد حاول تنظيم مشاركة العذارى في كنيسة الاسكندرية من خلال رسائله للعذارى. انظر:

Elm, "The Organization and Institutions of Female," pp. 116-123; Brakke, D., *Athanasius and the Politics of Asceticism.* Oxford Early Christian Studies. Oxford: Clarendon Press, 1995, pp. 17-65.

[2] Schulenburg, J. T., *Forgetful of Their Sex: Female Sanctity and Society, Ca. 500–1000*, Chicago, University of Chicago Press, 1998, p. 32; Miller, P.C., *Women in Early Christianity: Translations from Greek Texts*, Washington, D.C., The Catholic University of America Press, 2005, p. 10; Hughes, A. B., "Virginity in the Christian Tradition," in *St Andrews Encyclopaedia of Theology*, edited by Brendan N. Wolfe et al., University of St Andrews, 2023, pp. 13-14.

[3] Krawiec, Shenoute and the Women of the White Monastery, p. 95; Hughes, "Virginity in the Christian Tradition," pp. 8-9;

ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط1، 2022م، ص 47–48.

وتتناول هذه الورقة البحثية نمطاً غير تقليدي من رهبنة العذارى في تلك الفترة، حيث لجأت بعض الفتيات إلى التنكر بأسماء وهيئات ذكورية لدخول أديرة الرهبان، مدعيات أنهن خصيان لإخفاء هويتهن الأنثوية. ويعبر هذا النهج عن خروج واضح عن الأنماط التقليدية لرهبنة النساء، ويعكس رغبة قوية في التنسك والعيش خارج القيود الاجتماعية المعتادة[1].

لقد كانت الرهبانية، بطبيعتها، ظاهرة ذكورية ومجالاً للنفوذ الخاص بالرجال، حيث حرص قادتها على إبقاء هذا الطابع محفوظاً دون تغيير. وغالباً ما قدم الأدب الرهباني الذي هيمن عليه الرجال صورة سلبية عن المرأة، مصورها كأداة في يد الشيطان لإثارة الشهوات والرغبات، وقد أسهمت هذه الصورة في تعزيز الفواصل الصارمة بين "عالم الرجال" و"عالم النساء"، مما دعم النظرة التي هدفت إلى ترسيخ الرهبانية كحصن منيع للسلطة الذكورية، بعيداً عن أي تدخل نسائي أو منافسة على النفوذ[2].

بيد أن الواقع لم يسمح باستمرار هذا الوضع المأمول؛ فقد شقت المرأة طريقها إلى عالم الرهبنة، فكان دخول المرأة إلى هذا العالم حدثًا هاماً غيّر معالم هذا المجال الروحي، إلا أنه لم يكن خاليًا من التحديات. فقد وضعت البيئة الرهبانية – التي هيمنت عليها النزعة الذكورية لقرون طويلة – النساء أمام واقع مليء بالتناقضات، مما اضطرهن إلى التكيف مع قواعد وأفكار صُممت أساساً للرهبان الذكور، فقد كانت الرهبانية في جوهرها نظاماً ذكورياً، سواء في بنيتها أو قيمها أو تقاليدها، وُضعت القواعد بما يعكس تصورات اجتماعية وثقافية تُعلي من صفات الرجولة مثل القوة والانضباط والصبر. لذلك، عندما بدأت النساء بالانضمام إلى الحياة الرهبانية، وُضعن أمام ضرورة الامتثال لتلك القيم والتكيف معها، وهو ما جعلهن مضطرات للتخلي عن الكثير من ملامح أنوثتهن، وفي هذا السياق، عانت النساء من متطلبات متناقضة. فمن جهة، كان عليهن أن يتكيفن مع الأيديولوجية الذكورية عبر تبني صفات مثل القوة

---

[1] Cloke, *This Female Man of God*, p. 8; Krawiec, *Shenoute and the Women of White Monastery*, p. 5;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم وتاريخ أجيال العذارى، هارموني للطباعة، 2002م، ص 521.

[2] Cloke, *This Female Man of God*, p. 8;

عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

والصلابة، لتأكيد جدارتهن في هذا المجال الروحي، ومن جهة أخرى، ظلت النظرة التقليدية لطبيعة المرأة الضعيفة تلاحقهن، مما جعل وجودهن مرهوناً بإشراف الرجال وإرشادهم. هذه الازدواجية عكست الصراع المستمر بين رغبة النساء في تحقيق الاستقلالية الروحية وبين القيود التي فرضها النظام السائد[1].

كان للبيئة الثقافية والاجتماعية في مصر في العصر البيزنطي تأثيراً كبيراً على ظاهرة تنكر النساء في زي الرجال، خاصة في سياق الرهبنة وحياة الزهد، فهيمنت الثقافة الذكورية على المجتمع والمفاهيم الدينية السائدة، حصر أدوار النساء في إطار اجتماعي تقليدي كزوجات وأمهات، وأقصاهن من المجالات التي كانت تُعتبر حكراً على الرجال، مثل العزلة في الصحارى وممارسة حياة الزهد الكاملة، وشكّل الاحتكار الذكوري لمفهوم التوحد والعزلة في الصحارى عقبة أمام مشاركة المرأة في الحياة الرهبانية[2]، فكان يُنظر إلى الصحراء باعتبارها مكاناً مقدساً خاصاً بالرجال المتنسكين فقط، حيث يُعتقد أن هذه الأماكن تتمتع بقدسية تحجبها عن العالم الدنيوي، وقد أفاض الأدب الرهباني في الربط الوثيق بين المرأة والشيطان، ويُعتبر وجودها في هذه الأماكن خطراً يهدد الطهارة الروحية للمتنسكين، إذ كانت النظرة السائدة ترى أن الشر قد دخل إلى العالم من خلال المرأة. بناءً على هذا التصور، كان وجود المرأة في الصحارى – وهي الأماكن التي يُفترض أن تكون معقلاً للقداسة الروحية – يُعتبر تهديداً خطيراً على طهارة تلك الأماكن، ويشكل إخلالاً بالانسجام الروحي الذي كان يميز الحياة الرهبانية. وكانت رؤية المرأة تُعتبر سهماً مسموماً يصيب الروح ويثير الغريزة، مما يشوش ذهن الراهب ويعوقه عن التركيز في حياته الروحية، وكانت الصحراء مكاناً مقدساً يتم فيه ممارسة التبتل والانعزال، وكان الخوف من النساء يُعتبر عاملاً فصلاً بين العالمين، حيث حافظت هذه القاعدة على المسافة الآمنة بين الصحراء والعالم الخارجي[3].

---

[1] Swan, *The Forgotten Desert Mothers*, p. 10;
عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

[2] Swan, *The Forgotten Desert Mothers*, p. 10;
عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

[3] Evagrius, "On the Eight Thoughts." in *Evagrius of Pontus: The Greek Ascetic Corpus*, translated by Robert E. Sinkewicz, 66-90. Oxford: Oxford University Press, 2006, pp. 76-78; Evagrius, "The Monk: A Treatise on the Practical

وفي أواخر القرن الرابع الميلادي، تزايد القلق في الدوائر الديرية بشأن تأثير المرأة على حياة الرهبان والنساك. على سبيل المثال، رفض القديس أرسانيوس Saint Arsenius مقابلة النبيلة ميلانا Noble Melania، رغم محاولات ثيوفيلوس بطريرك الاسكندرية Patriarch Theophilus of Alexandria التوسط لديه لمقابلتها، وعندما التقت ميلانا بالقديس في الخارج، ورجته أن يصلي من أجلها، رد عليها قائلاً: "إني أصلي كي يمحو الرب ذكراك من قلبي"، وعندما سألته ميلانا عن سبب رفضه لها، أجابها ثيوفيلوس قائلاً: "ما قال القديس هذا إلا لأنك امرأة ولأن العدو يحارب القديسين بالنساء"[1]. هذا المثال يعكس بشدة الخوف السائد في الأوساط الرهبانية من تأثير المرأة على الروحانية، ويُظهر التأثير العميق للأيديولوجية الرهبانية التي تعتبر المرأة مصدراً للشرور والمغريات. هذا التصور جعل من الصعب على النساء ممارسة حياتهن الروحية بحرية، ما دفع العديد منهن إلى التنكر بزي الرجال كوسيلة للتغلب على هذه القيود المجتمعية، والانخراط في الحياة الرهبانية.

وعلاوة على ذلك، ساهمت الظروف السياسية والعسكرية في فترة الاضطرابات التي شهدتها مصر في العصر البيزنطي، وخاصة خلال الغزو الفارسي والحملات العسكرية المتتالية، كانت النساء معرضات بشكل خاص للخطر. في هذا السياق، أصبح ارتداء زي الرجال وسيلة فعالة لحمايتهن من هذه التهديدات، فقد كان التنكر يساعدهن في التمويه والاختباء، ما يتيح لهن الهروب من المواقف التي قد تعرضهن للأذى الجسدي أو النفسي، وتُظهر الأمثلة التاريخية أن عديد من النساء اللاتي عاشوا في تلك الفترات المضطربة لجأن إلى هذه الحيلة كوسيلة لحماية أنفسهن، ففي وقت كانت فيه الحياة العامة مليئة بالمخاطر، كان هذا التصرف يعتبر أداة للبقاء وحماية النساء من العواقب السلبية التي قد تترتب على تعرضهن للمخاطر السياسية والعسكرية[2]. بالإضافة إلى

Life." in *Evagrius of Pontus: The Greek Ascetic Corpus*, translated by Robert E. Sinkewicz, 91-114. Oxford: Oxford University Press, 2006, pp. 98; Evagrius, "On Thoughts." in *Evagrius of Pontus: The Greek Ascetic Corpus*, translated by Robert E. Sinkewicz, 136–182. Oxford: Oxford University Press, 2006, pp. 163-164.

[1] Ward, B., *The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection*, Kalamazoo, A.R. Mowbrey, 1975, p. 14.

[2] Ward, B., *Harlots of the Desert: A Study of Repentance in Early Monastic Sources*. Kalamazoo, Michigan, Cistercian Publications Inc., 1987, pp. 26-28;

السبب الرئيسي المتمثل في حماية أنفسهن من الاعتداءات الجسدية من قبل بعض لصوص الصحراء، كان ارتداء زي الرجال يمثل وسيلة لحماية النساء من مختلف أشكال العنف الذي قد يتعرضن له في تلك الفترة المضطربة، ففي ظل تهديدات الغزو الفارسي والاضطرابات العسكرية، كانت النساء عرضة للاختطاف أو التعرض للاعتداء من قبل مجموعات مسلحة، مثل لصوص الصحراء الذين كانوا يشكلون خطراً على المدنيين من خلال التنكر بزي الرجال، كان بإمكان النساء التمويه والاختفاء وسط الرجال، مما يساعدهن على تجنب الأنظار والحفاظ على سلامتهن في بيئة مليئة بالمخاطر، هذا التوجه كان بمثابة أداة للبقاء في وقت كانت فيه الحياة العامة شديدة الاضطراب[1].

لم يكن تنكّر النساء بزي الرجال مجرد وسيلة لحماية أنفسهن من الاعتداءات الجسدية التي قد يتعرضن لها على أيدي لصوص الصحراء، كما قد يُعتقد، أو بسبب عدم تقبّل بعض الرهبان الذكور لوجودهن كإناث. بل كان ذلك خياراً يهدف أيضاً إلى الانخراط في ثقافة رهبانية هيمن عليها الطابع الذكوري، حيث اعتُبرت الصحراء فضاءً خاصاً بالنساك والمتنسكين الرجال. كانت هذه الثقافة تؤمن بأن القداسة لا يمكن بلوغها إلا عبر الرجال، ما دفع النساء إلى التكيف مع هذه الرؤية من أجل الحصول على فرصة للمشاركة في الحياة الرهبانية، والتعبير عن تديّنهن في هذا السياق الذي ضيّق أفق المشاركة النسائية.

كان الفكر الرهباني يرى المرأة كأداة للشيطان، ووجودها في الصحراء كان يشكل تهديداً للمكان المقدس، الذي كان يُعتقد أن الرجال فقط هم من يحق لهم التواجد فيه، فكان التنكر بزي الرجال هو الوسيلة التي لجأت إليها بعض النساء للتكيف مع هذه البيئة، سواء لحماية أنفسهن أو للاندماج في ثقافة رهبانية تُميز بين الرجال والنساء[2].

يؤانس (الأنبا)، "تنسك العذارى ورهبنتهن" في سمير فوزى جرجس (تحرير)، موسوعة تراث القبط: الإيمان والعبادة والحياة النسكية، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، مج 2، ط1، 2004م، ص 456.

[1] محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية، ص 346 – 379؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 521.

[2] Evagrius, "To Eulogios on the Confession of Thoughts and Counsel in their Regard." in *Evagrius of Pontus: The Greek Ascetic Corpus*, translated by Robert E. Sinkewicz, 12-59. Oxford: Oxford University Press, 2006, p. 45;

احتوى الأدب الرهباني على العديد من القصص التي صوّرت الشيطان متجسداً في هيئة امرأة فقيرة، جائعة، وتائهة في الصحراء، تتوسل إلى الناسك المتوحد بأن يستضيفها ويحميها، فكانت هذه القصص تهدف إلى ترسيخ الخوف من المرأة؛ بوصفها رمزاً للمكر والخداع، حيث كانت تُقدّم في صورة شيطانية تهدف إلى إغواء الناسك وإبعاده عن طريق الزهد والعبادة. ولهذا السبب، نشأ اعتقاد واسع بين النساك بأن أي امرأة تظهر في الصحراء تمثل تهديداً لطهارتهم الروحية، مما دفعهم إلى الهرب فور رؤيتها[1]، بسبب هذا التصور السلبي والمعتقدات المتجذرة التي جعلت من وجود المرأة في الصحراء أمراً غير مقبول وخطيراً، اضطرت النساء اللواتي رغبن في ممارسة حياة التوحد والعزلة إلى اتخاذ تدابير سرية، فاختارت العديد من المتوحدات التنكر في زي رجال، بل وحتى استخدام أسماء ذكورية، كي يتمكنّ من العيش كناسكين دون أن يثيرن الشكوك أو يتعرضن للمضايقات، وقد ساعدهن هذا التخفي على مواصلة حياة التنسك والعبادة في الصحراء بعيداً عن أعين الرقباء[2].

هذا الوضع يُبرز حجم التحديات الاجتماعية والثقافية التي اعترضت طريق النساء اللواتي اخترن حياة التنسك والتفرغ الروحي، حيث واجهن قيوداً وتوقعات مجتمعية صارمة حول أدوارهن التقليدية، ومع سعيهن لتحقيق رغباتهن في العزلة والتفاني في العبادة، اضطرت بعضهن للتخفي في زي الرجال أو التظاهر بأنهن خصيان، من أجل

عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

[1] Evagrius, “On the Eight Thoughts”, pp. 76-78; idem, “The Monk: A Treatise on the Practical Life”, pp. 98; idem, “On Thoughts”, pp. 163-164;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 37؛ عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

[2] Delcourt, M., "Female Saints in Masculine Clothing" In *Hermaphrodite: Myths and Rites of the Bisexual Figure in Classical Antiquity*, London, 1961, pp. 84-102; Anson, J., The Female Transvestite in Early Monasticism: Origin and Development of a Motif. *Viator*, 5 (1974), pp. 1-32;

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء الأنبا موسى الأسود، ج 2، ط 1، 1989، ص 132؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 37؛ عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

تجاوز الحدود المجتمعية الصارمة التي تحصر النساء في أدوار معينة، هذه الممارسات لم تكن مجرد تحدٍ للصور النمطية فحسب، بل عكست أيضًا إصرارهن على مقاومة الضغوط الاجتماعية والتخلص من القيود التقليدية للوصول إلى نوع من "الزواج السماوي" أو الاتحاد الروحي المطلق، وهي فكرة شاعت في أدبيات المسيحية المبكرة، حيث كانت البتولية تمثل رمزاً للتفاني الديني والارتباط الروحي العميق[1].

من الجدير بالذكر أن هذه الطريقة نجحت في تحقيق الهدف المرجو منها، وقد أظهرت النساء المشاركات قدرة فائقة على التغلب على طبيعتهن الرقيقة ومواجهة قسوة الحياة وظروف المعيشة الصعبة في الصحراء، وعلى الرغم من وجود أمثلة مماثلة خارج الأراضي المصرية، فإن هذه الورقة البحثية تركز فقط على النماذج الموجودة داخل مصر.

نماذج لبعض الراهبات اللواتي تنكرن بزي الرهبان:

تتبع معظم سير الناسكات والراهبات نمطاً أدبياً متشابهاً في هذه الظاهرة، حيث تدور العديد من القصص حول نساء من خلفيات اجتماعية راقية، مثل الزوجات أو الخطيبات أو الفتيات اللاتي لديهن آباء من طبقات اجتماعية مرتفعة نسبياً، اللواتي اخترن طريق العفة والتبتل، وبالرغم من أن معظم الباحثين لا يعتبرون هذه السير مصادر تاريخية دقيقة، إلا أنها توفر لنا نافذة مهمة لفهم البيئة الاجتماعية لتلك الفترة، فهي تُعطي فكرة عامة عن القيم والمفاهيم السائدة، وتلقي الضوء على التوجهات الاجتماعية والدينية التي دفعت النساء نحو اختيار مسار مختلف للحياة، بعيداً عن الأعراف التقليدية.

وقد لجأت بعض النساء إلى التنكر بزي الرهبان رغبةً في الانضمام إلى الحياة الرهبانية، وتحقيق التبتل والانعزال الروحي الذي كان مخصصاً للرجال فقط، ولكن الكنيسة اعتبرت هذا السلوك خروجاً عن القوانين والتقاليد الدينية، مما دفعها لرفضه خشيةً من تجاوز النساء للأدوار المحددة لهن داخل المجتمع الكنسي، بالإضافة إلى

---

[1] Clark, E.A., *Women in Early Christianity*. Oxford University Press, 1990, 120-125;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 37؛ عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282.

القلق من التأثيرات الاجتماعية والدينية التي قد تترتب على هذه الظاهرة[1]، يُعرف القليل فقط عن الراهبات المتخفيات، ويُرجح أن عددهن كان كبيراً نظراً للغموض الذي أحاط بحياتهن في صحارى موحشة ومقفرة[2]، ولم يقتصر التنكر بزي الرجال على الراهبات وحدهن، بل ظهرت أيضاً قصص متفرقة عن ناسكات في الصحراء تخفين بزي الرجال[3]، إذ ارتبط تحقيق المرأة للقداسة بتخليها عن صفاتها الأنثوية وتبني صفات تُعد ذكورية.

وهناك قصة مؤرخة غالباً بالقرن السادس الميلادي، يُروى أن الأنبا بيساريون Bessarion وتلميذه، أثناء رحلتهما إلى ليكوبوليس أسيوط، صادفا رجلاً مسناً يعيش في كهف ويكسب رزقه من جدل الحبال، أثار وجوده في هذا المكان النائي دهشتهما، لكنهما واصلا رحلتهما إلى المدينة دون التعمق في هويته. وعند عودتهما، قررا التوقف مجدداً لزيارته، غير أن ما وجداه كان مفاجئاً؛ إذ اكتشفا أن الرجل قد فارق الحياة، وتبين لهما عندئذ أنها كانت امرأة[4].

وقد هزّ هذا الاكتشاف بيساريون، وأدرك حجم التضحية الروحية التي اختارتها هذه المرأة التي عاشت في عزلة، متخفية بزي رجل، مواجهةً قسوة الحياة الصحراوية في سبيل تحقيق حياة روحانية أعمق، فنظر إلى تلميذه وقال: "انظر كيف انتصرت النساء على الشيطان، بينما نحن نتصرف بشكل مخزٍ في المدن"[5].

---

[1] Van Doorn-Harder, P., *Contemporary Coptic Nuns*. Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1995, p. 31; Elm, *The Organization and Institutions of Female*, pp. 108-111.

[2] Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 31; Elm, *The Organization and Institutions of Female*, pp. 108-111;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 137.

[3] عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص ص31– 52.

2 Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 132; Regnault, L., *The Day-to-Day Life of the Desert Fathers in Fourth-Century Egypt*. 1st English Edition. St. Bede's Publications, 1999, p.26.

[5] بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، 2013، ص 448؛

Brakke, D., "The Lady Appears: Materializations of 'Woman' in Early Monastic Literature". *Journal of Medieval and Early Modern Studies* 33, 3, 2003, pp. 387-402.

وعليه، يمكن استنتاج أن النساء اللاتي اخترن هذه الحياة الصحراوية القاسية، قد وجدن فيها ملاذاً من القيود الاجتماعية، واستطعن من خلالها السعي للقداسة بعيداً عن القيود والعقبات التي واجهتها النساء في المدن، لقد احتوت المصادر التاريخية على سير ذاتية لقديسات تنكرن في هيئة رجال وعشن في أديرة الرجال مخفيات جنسهن وانخرطن في حياة الذهد الذكورية.

الراهبة ليديا Lydia:

لا تتوفر سوى معلومات قليلة عن الراهبة ليديا، التي اشتهرت بكونها كاتبة من تسالونيك Thessaloniki في بلاد اليونان. يُروى أنها تنكرت بزي الرجال لتتمكن من ممارسة حياتها الروحية بحرية، وتشير بعض المصادر المحدودة إلى أن الراهبة ليديا زارت القديس مكاريوس Macarius[1]، وقضت الراهبة ليديا عاماً كاملاً في عزلة داخل إحدى القلالي في منطقة كيليا Kellia[2]، حيث كانت تتعبد وتتأمل كأحد الرهبان.

---

[1] وُلد القديس مكاريوس الكبير Saint Macarius the Great حوالي عام 300 م في قرية بتنابور Petenbour قرب وادي النطرون Wadi El-Natrun لعائلة فقيرة صودرت ممتلكاتها. نشأ محباً للكتاب المقدس حتى أصبح قارئاً في الكنيسة، مما ساعد على تعميق إيمانه. امتثل لرغبة أسرته في الزواج، لكنه اتفق مع زوجته على حياة البتولية. كان يعتمد في معيشته على مرافقة القوافل لجلب النطرون من الوادي. بعد وفاة زوجته نتيجة الحمى، وزع ممتلكاته على الفقراء، ثم اختار حياة الوحدة بالقرب من قريته. واجه اتهاماً كاذباً من امرأة ادعت مراودته لها، مما جعله يعاني من اضطهاد أهل القرية. ومع ولادة الطفل، اعترفت المرأة ببراءة مكاريوس، فأعاد له أهل القرية احترامه وتقديره. قرر بعدها الابتعاد إلى صحراء وادي النطرون، حيث انطلقت على يديه حركة رهبانية مستوحاة من القديس أنطونيوس الكبير، وأصبح وادي النطرون مركزاً للرهبنة القبطية. انظر:

Meinardus, Otto F.A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999, pp. 72-73.

رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، تنسيق وتعليق ميخائيل مكسى أسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2003م، ص 306.

[2] هي منطقة صحراوية تقع بالقرب من نتريا، سُميت بهذا الاسم لكثرة القلالي الموجودة فيها، وهو ما تشير إليه التسمية؛ وقد لعبت هذه المنطقة دوراً محورياً في تطور تقاليد الرهبنة. انظر: بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص 447.

كان نمط حياة الراهبة ليديا الروحي شديد الالتزام، إذ كانت تخرج من قلايتها إلى الكنيسة مرة واحدة فقط في الأسبوع، محتفظةً بعزلتها في القلاية باقي الأيام. اتبعت أسلوب حياة صارماً يهدف إلى الابتعاد عن مظاهر الحياة اليومية، والتفرغ الكامل للعبادة والتأمل[1].

أبوللينارياApollinaria:

هي إحدى بنات القنصل أنثيميوس Anthemius عام 405م، اشتهرت بصفات طيبة وشخصية قوية. عندما أراد والداها تزويجها، رفضت الفكرة تماماً وأعربت عن رغبتها في الالتحاق بأحد الأديرة لتكريس حياتها للعبادة، وبعد مفاوضات عديدة مع والدها، نجحت في تحقيق ما أرادت، حيث تلاشت تدريجياً كل العقبات والاعتراضات من جانب الأسرة، وخرجت منتصرة برغبتها في الحياة الروحية، وتمكنت من تحقيق حياة الزهد والعبادة بعيداً عن التزامات الزواج والحياة الدنيوية، فقد سعت للابتعاد عن الدور التقليدي المفروض على النساء في ذلك الوقت، مما يعكس إيمانها الراسخ وقناعتها بأهمية تكريس حياتها لله[2].

وبعد فترة من قبول والدها لطلبها، استأذنت أبوللينارياً من والديها للذهاب في زيارة إلى الأراضي المقدسة، بالرغم من المخاطر الكبيرة التي كان يشكلها السفر في تلك الفترة على أرواح المسافرين، فإن تصميم أبوللينارياً وعزيمتها أزالا كل التحديات والاعتراضات، وافق والداها على طلبها وبدأ في إتمام جميع التجهيزات اللازمة لهذا السفر، كما حضر الأب يوحنا ذهبي الفم John Chrysostom للمباركة وتقديم

---

[1] Amélineau, É., *Monuments pour server à l'histoire de l'Égypte chrétienne. Histoire des monasteries de la Basse-Égypte*, Cairo, 1894, pp. 240-241;

حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية – مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، 1963م، ص 75 – 77؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 522.

[2] Delcourt, "Female Saints in Masculine Clothing", pp. 84-102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 527؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 461.

التوجيه الروحي قبل رحيلها[1]، الذي أصبح فيما بعد بطريركاً للقسطنطينية، وبارك أبوللينباريا وصلى من أجلها[2].

أبحرت أبوللينباريا مع الموكب المصاحب لها في سفينة متجهة إلى فلسطين، مصحوبة بدعوات أهل المدينة. بعد ذلك، توجهت إلى نهر الأردن لزيارة الأماكن المقدسة هناك، حيث تباركت من المكان الذي تعمد فيه السيد المسيح عليه السلام. أثناء زيارتها، قدمت الكثير من العطايا والصدقات إلى الأديرة المحيطة. وعلى مراحل متتابعة، بدأت أبوللينباريا بتقليل عدد الأشخاص المرافقين لها، حيث أبقت فقط على العدد الضروري، وعند عودتها إلى المدينة المقدسة (بيت المقدس) Jerusalem، استدعت بقية مرافقيها وأبلغتهم بنيتها إطلاق سراحهم بعد أن يصطحبوها إلى مصر لزيارة مقبرة الشهيد مارمينا Saint Mena[3].

---

[1] وُلد يوحنا ذهبي الفم (John Chrysostom) في أنطاكية بين عامي 345 و347م لعائلة مسيحية مرموقة. كان والده سيكندوس Secundus قائداً في الجيش الروماني، لكنه توفي عندما كان يوحنا لا يزال رضيعاً. تلقى يوحنا تعليمه في الفلسفة والبلاغة على يد الفيلسوف ليبانيوس Libanius، الذي أبدى إعجابه بذكائه. بعد إتمام دراسته، قرر يوحنا أن يكرس حياته للدين، فاختار طريق الرهبنة وكرس وقته للصوم والدراسة الروحية. في عام 370م، تم تعيينه أسقفًا على أنطاكية. وبعد فترة من التأمل والمرض، عاد إلى أنطاكية ليُعين شماساً في عام 380م، ثم كاهناً في عام 386م. وفي عام 398م، عُيّن يوحنا بطريركًا على القسطنطينية، واشتهر بلقب "ذهبي الفم" لفصاحته. انتقد الفساد، مما عرضه للنفي عدة مرات، وتوفي في المنفى عام 407م. ترك إرثًا روحيًا وأدبيًا عظيمًا، ولا يزال مؤثرًا في الفكر المسيحي، ويُعد من أعظم آباء الكنيسة الشرقية. لمزيد من التفاصيل انظر:
Mayer, W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.

[2] يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 461

[3] القديس مارمينا، المعروف بلقب "العجائبي St. Menas"، وُلد عام 258م في نقيوس Niceous بمحافظة المنوفية من أسرة مسيحية، وكان والده أودكيوس حاكماً على المدينة. توفي والده وهو في الحادية عشرة من عمره، ثم التحق بالخدمة العسكرية قبل أن يتركها ويتوجه إلى البرية للعبادة في صحراء ليبيا. بعد خمس سنوات من العبادة، عاد مارمينا إلى المدينة وأعلن إيمانه بالسيد المسيح أمام الحاكم، الذي ألقاه في السجن وعذبه حتى استشهد خلال فترة اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian. نُقل جثمانه من ليبيا إلى موقع أصبح لاحقًا مزار "أبو مينا Abu Mena" جنوب غرب بحيرة مريوط، ليصبح أحد أشهر المزارات المسيحية في العصور الوسطى حتى القرن السابع الميلادي. اشتهر المزار بوجود بركة ماء مقدسة بجوار قبر القديس، حيث كان يعتقد أن الماء يشفي

كانت الظروف المناخية مواتية عند وصولهم إلى مدينة عسقلان Ascalon[1]، فأبحروا على أول سفينة متجهة إلى مدينة الإسكندرية، ولكن رغم كل المحاولات التي بذلتها أبوللينارية لعدم معرفة أحد بوصولها، إلا أنه عند وصولهم إلى ميناء الإسكندرية، أرسل حاكم المدينة رسولاً ليقدم لها الترحيب ويخبرها بقدومه في الصباح لاستقبالها. ومع ذلك، فضلّت تجنب الاستقبالات الرسمية، فاختارت التوجه إلى القصر ليلاً دون انتظار حلول الصباح. وعندما وصلت، أبلغت الحاكم بأنها حضرت للتبرك من مزار الشهيد مارمينا في الإسكندرية، وأخبرته بأنها تأمل أن يسمح لها بالذهاب خفية لكي تكون في كامل حريتها، وتمر بأوقات من العبادة والتقوى بعيداً عن الأنظار[2].

الأمراض. توافد الزوار من أنحاء العالم المسيحي للشرب من الماء أو الاستحمام فيه للحصول على الشفاء، وكان الحجاج يعبئون الماء في قوارير فخارية ليأخذوا معهم البركة. انظر:

رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص ٨١؛ الشهيد المصري مار مينا العجائبي، كنيسة مار جرجس، إعداد بيشوي كامل،(ب.ت)، ص ٣٢؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 529؛

Talbot, A. M., "Pilgrimage to Healing Shrines: The Evidence of Miracle Accounts." *Dumbarton Oaks Papers*, Vol. 56, 2002, p. 154; The Great Egyptian and Coptic Martyr, The Miraculous Saint Mina. Prepared and published by: Saint Mina Coptic Orthodox Monastery, Mariout, Egypt, 2005, pp. 21-22.

[1] كانت عسقلان (Ascalon) إحدى موانىء فلسطين على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، حيث كانت ميناء تجارياً رئيساً يربط بين مصر والشام؛ وأصبحت مركزاً دينياً بعد تحول الإمبراطورية إلى المسيحية، مع انتشار الكنائس والأديرة. وعلى الصعيد العسكريً، كانت عسقلان قاعدة عسكرية محصنة ضد الغزوات الفارسية والعربية، وشاركت في الصراعات البيزنطية–الفارسية حتى سقطت في يد الفرس عام 614م، ثم فتحها المسلمون في 638م. لمزيد من التفاصيل انظر:

Avi-Yonah, M., *The Holy Land: From the Persian to the Arab Conquests 536 B.C. to A.D. 640*. Grand Rapids: Baker Book House, 1966; Walmsley, A., "Economic Developments and the Nature of Settlement in the Towns and Countryside of Syria-Palestine, ca. 565-800 CE." *Dumbarton Oaks Papers*, 61 (2007), pp. 319–352.

[2] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 529؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 461؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار ما بين القرن الرابع والقرن الثاني عشر، مراجعة الانبا ابيفانيوس، القاهرة، دار مجلة مرقس، ط 1، 2016م، ص367– 369.

خضع الحاكم لرغبتها، ولكنه أرسل إليها في السفينة الكثير من الهدايا، التي قامت بتوزيعها فوراً على الفقراء خلال الفترة التي سبقت زيارتها لمزار القديس مارمينا، كما قامت بزيارة مجموعة من الكنائس والأديرة، مقدمة هبات وهدايا كثيرة. خلال رحلتها، قصدت امرأة عجوزاً، وقامت – بسرية – بشراء زي كامل لأحد الرهبان، وأخفته بعناية تامة عن أعين مرافقيها اللواتي كن لا يزلن في خدمتها، وفي الليلة التي سبقت زيارتها لمزار القديس مارمينا، قدمت الشكر لمرافقيها من الخدم والوصيفات، وأجزلت لهم العطاء سواء من المال أو الهدايا. ثم طلبت منهم الانصراف، وأكملت رحلتها في رفقة خصي وخادم عجوز فقط، لتتوجه بحرية تامة إلى وجهتها المقدسة، وكان في استقبالها وكيل الدير، الذي علم بقدومها من حاكم الإسكندرية، وقد طلبت منه أن يتركها دون استقبال رسمي، وأن يُعاملها كما يفعل مع باقي الزوار، وفي فجر اليوم التالي، انطلقت أبوللينارياً في طريقها إلى مزار مارمينا، حيث استمرت الرحلة عدة ساعات دون أن تفتر خلالها لحظة واحدة عن الصلاة، ونظراً لعدم معرفة أحد بموعد وصولها، دخلت الكنيسة منفردة، بعدما أومأت إلى مرافقيها بألا يخبروا أحداً بهويتها[1].

ظلت أبوللينارياً ثلاثة أيام وليالٍ في مزار الشهيد مارمينا، تتعبد أمام رفات القديس، ثم طلبت من وكيل الدير أن يُجهز لها الدواب لتذهب إلى برية الاسقيط Scetis لتأخذ بركة الآباء النساك، وعند المساء، استدعت آخر من تبقى معها، ومنحته مبلغاً كبيراً من المال وصرفته، طالبة منه الصلاة من أجلها، ثم استعدت أبوللينارياً للذهاب إلى برية شهيت، وتعللت بحرارة الشمس وحر النهار، فطلبت الانتظار حتى فترة الغروب، وقضت الساعات الأولى من رحلتها وهي مستغرقة في صلوات عميقة، طالبة إرشاد السماء فيما ترغب فيه[2]. عند منتصف الليل، وفي اللحظة التي تزامنت مع أول

---

[1] Regnault, *The Day-to-Day Life*, p. 20;

متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 529؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 69 – 76.

[2] Regnault, *The Day-to-Day Life*, p. 26.

متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 530؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 69 – 76.

استراحة وفق التعليمات الموضحة في الورقة التي يحملها المسؤول عن العربة، شرعت أبوللينارياً في تنفيذ خطتها بحذر ودقة فأظهرت وكأنها ستخلد للراحة، وانتظرت بصبر حتى تأكدت من أن المسؤول ابتعد عن العربة. بعدها، تسللت إلى الجهة المقابلة بهدوء شديد، وارتدت الزي الرهباني الذي أعدته مسبقاً، ونظمت ملابسها الأصلية داخل العربة بعناية فائقة، لتضمن عدم ترك أي أثر يمكن أن يكشف عن هروبها مع طلوع الصباح[1]، لقد شددت العقيدة المسيحية المبكرة، خصوصاً في سياق الرهبنة، على ضرورة الابتعاد عن كل ما يمكن أن يُضعف الروح، بما في ذلك العلاقات الاجتماعية والأسرية. ووجدت أبوللينارياً أن التخفي بزي الرجال سيسمح لها بتجنب الزواج والعيش وفقاً لرغبتها الروحية.

وبسبب القلق الشديد الذي سيطر على الخادم نتيجة طول الانتظار دون أن يصدر أي أمر بالتحرك، اضطر إلى رفع الستار لتفقد الوضع. كانت المفاجأة أن النبيلة لم تكن موجودة، في حين وُضعت ملابسها الفاخرة بعناية داخل العربة، مما أوضح بشكل جلي أنها هربت. عاد الخادم على الفور، مسرعاً إلى دير مارمينا وأخبر وكيل الدير بما حدث، وسلمه ملابس النبيلة. شعر الوكيل بندم شديد ولوم نفسه، لأنه استجاب لرغباتها ولم يقدم لها العناية والاهتمام الذي يتناسب مع مكانتها. لم يتأخر الوكيل في اتخاذ إجراء سريع، حيث كتب رسالة تفصيلية إلى والدها يشرح فيها ما حدث، وأرفق مع حامل الرسالة ملابسها التي وُجدت داخل العربة [2].

عاشت أبوللينارياً لعدة سنوات في منطقة منعزلة مليئة بالمستنقعات، حيث اعتمدت على نخلة في المكان لتأكل من تمرها، مما ساعدها على الحفاظ على قوتها. ومع مرور الوقت، ونتيجة للتغيرات البيئية القاسية، أصيب جلدها بتورم شديد بسبب لدغات البعوض المستمرة، وأصبح خشناً بشكل ملحوظ، وتغيرت ملامح وجهها بفعل حياة النسك والزهد التي فرضتها على نفسها، حتى أصبح جسدها هزيلاً ونحيلاً للغاية. لم

---

[1] Regnault, *The Day-to-Day Life*, p. 26;

متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 532؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 69 – 76.

[2] Regnault, *The Day-to-Day Life*, p. 26;

فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369.

يعد أحد يميز أنها أميرة، ومن يراها كان يعتقد، بسبب مظهرها وعدم وجود لحية، أنها أحد الخصيان[1]. بعد مرور فترة من الزمن، شاءت الأقدار أن تلتقي أبوللينارياً بالقديس مكاريوس السكندري Macarius of Alexandria، حيث طلبت منه أن يمنحها الإقامة في قلاية صغيرة في الصحراء، مبدية رغبتها في أن تكون من تلاميذه، وافق القديس مكاريوس وحدد لها مغارة شاغرة على منحدرات منطقة نتريا Nitria، حيث عاشت هناك منفردة، مكرسة حياتها للصلاة المستمرة ليلاً ونهاراً، والتزمت بالصمت التام وحرصت على إخفاء هويتها وجنسها، فكانت تغطي معظم وجهها بغطاء رأسها لتجنب الكشف عن حقيقتها، أسند إليها القديس مكاريوس بعض الأعمال اليومية، وهو النظام المتبع مع جميع الرهبان المتوحدين والمقيمين في الأديرة[2]، وقضت سنوات عديدة في الصحراء وحققت السلام الداخلي من خلال الزهد والتفاني في العبادة تحت اسم الأب دوروثيوس Dorotheos. في تلك الأثناء، بينما كانت أبوللينارياً منشغلة بعبادتها ونسكها، كانت شقيقتها تعاني من معاناة شديدة بسبب إصابتها بروح شريرة؛ نظراً لما اشتهرت به صحارى مصر من معجزات شفاء المرضى وتحقيق العجائب، قرر والدها أن يرسل شقيقتها إلى هناك بحثاً عن الشفاء. كان يعتقد أن الروح الشريرة التي كانت تسيطر عليها لن تتركها إلا إذا تعرّضت لبركة وقداسة المكان[3]، اقترح بعض أصدقاء والد أبوللينارياً من البلاط الإمبراطوري أن يصحب ابنته إلى مصر على أمل أن تجد علاجاً يخفف من معاناتها بسبب الروح الشريرة التي كانت تسيطر عليها، وبما أن والدها لم يكن يعاني من أي قيود مادية أو مالية، فقد تردد في البداية قليلاً، لكنه

---

[1] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 533؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369.

[2] Rousseau, P., *Ascetics, Authority, and the Church in the Age of Jerome and Cassian*. Oxford, Oxford University Press, 1978, pp. 92-94.

[3] Hanna, T. A. L., *The Power of Coptic Women Saints: Historical and Analytical Study of Coptic Women Saints as Spiritual Models for Coptic Women in the USA and Egypt*. PhD diss., Claremont Graduate University, 2020, pp. 72-74;

سهير محمد مليجي، "ظاهرة معجزات القديسين الشفائية في مصر في العصر البيزنطى (284–642م)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ع 14، ج1، 2023م، ص 133–180.

سرعان ما اتخذ هذه الخطوة دون تردد، بحثاً عن شفاء ابنته. كانت نصيحة أصدقائه تستند إلى شهرة الصحراء المصرية بأنها ملاذ للشفاء الروحي والعلاجي، حيث كان من المعروف أن العديد من القديسين والرهبان قد نجحوا في طرد الأرواح الشريرة والتعامل مع حالات مشابهة[1]. أبحر الموكب متجهاً إلى مصر، حيث وصل إلى برية الاسقيط Scetis. وهناك، التقوا بالقديس الأنبا مكاريوس Macarius، الذي فهم سريعاً الهدف من قدومهم. بدوره، أرشدهم إلى الأب دوروثيوس، المعروف بقدرته على صنع المعجزات، ليحاول علاج الفتاة والتخفيف من معاناتها[2]، وهنا نجد أن التنكر كرجال أدى إلى الوصول إلى مكانة روحية مرموقة لا تُتاح عادة للنساء.

---

[1] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 535؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369.

[2] مع انتشار المسيحية، ظهرت فكرة "العلاج المقدس" كوسيلة غيبية للشفاء، والتي لاقت قبولًا واسعًا في المجتمع المسيحي، لا سيما في مصر. استندت هذه الظاهرة إلى إيمان المؤمنين بقدرة القديسين على شفاء المرضى من خلال قوى إلهية وهبها الله لهم، ليتجلى ذلك في معجزات شفاء متعددة سواء أثناء حياتهم أو بعد وفاتهم. كان المرضى يتوجهون إلى الأضرحة والكنائس طلبًا للشفاء، معتمدين على نصوص الكتاب المقدس التي تدعم هذا الاعتقاد، حيث أشار بولس الرسول إلى انتقال بعض القدرات الشفائية للمسيح، والتي أطلق عليها "المواهب الروحية"، إلى القديسين ليكونوا وسطاء إلهيين في عملية الشفاء. تميز العلاج المقدس بطابع مجاني، حيث كان يُقدم دون مقابل مادي، لكن المرضى كانوا يعبرون عن امتنانهم من خلال القيام بأعمال خيرية أو تقديم نذور وتبرعات لدعم الأضرحة والكنائس. كانت هذه العطايا بمثابة تعبير عن الشكر للقديسين على نعمة الشفاء، مما عزز من الجانب الديني والاجتماعي لهذه الطقوس، ورفع من مكانة القديسين كرموز للشفاء والتفاني الروحي. في العصور الوسطى، كانت الأديرة القبطية في مصر تمزج بين الدور الديني والعلاجي، حيث كان الرهبان والراهبات يقدمون علاجات مقدسة تضم الطقوس الروحية مثل الصلاة ومسح المرضى بالزيوت المقدسة كزيت الميرون. كان يُعتقد أن المرض هو اختبار إلهي أو نتيجة للابتعاد عن الله. كما استخدم الرهبان الأعشاب الطبية التقليدية مثل البابونج والزعتر لعلاج الأمراض الجسدية، وكان يُعتقد أن المياه المقدسة تطهر الجسد والروح. ومن ثم، كانت الأديرة تعد مراكز مهمة للعلاج الروحي والجسدي، حيث كانت الأجواء الروحية تعزز الإيمان وتساهم في الشفاء النفسي، مما جعلها وجهة للمؤمنين الذين يبحثون عن الراحة الجسدية والروحية. انظر:

Bricault, L., "Isis–Sarapis Syrus and John between Healing Gods and the Thaumaturgical Saints." in *The Alexandrian Tradition: Interactions between Science, Religion, and Literature*, edited by L. A. Guichard, J. L. Garcia, and

عندما رأت أبوللينارياً شقيقتها، أدركت على الفور أنها هي، وعرفت أن الروح الشريرة كانت تسعى لكشف هويتها. ورغم ذلك، نجحت أبوللينارياً في علاج شقيقتها، وأخبرتها بحقيقة نسبهما، ولكنها طلبت منها الحفاظ على السر، وألا تفصح عنه لأحد. بعد ذلك، شكرت النبيلة الرهبان والنساك، وبعد أن امتلأ قلبها بالهدوء والسلام، عادت إلى القسطنطينية، حيث تم استقبالها بحفاوة كبيرة في احتفال رسمي مهيب[1]، وبعد فترة من الزمن، وصل موكب رسمي أُرسل من القسطنطينية بتوجيه من النبيل أنثيميوس Anthemius إلى صحراء نتريا Nitria. جاء الموكب محملاً بهدايا ثمينة ومصحوباً بطلب خاص من القنصل أنثيميوس، الذي التمس حضور الأب دوروثيوس للصلاة من أجل شفاء ابنته التي عاودتها الآلام بعد فشل محاولات العلاج السابقة. رفض الأب دوروثيوس بشدة مغادرة الصحراء، متمسكاً بالتزامه بحياة النسك والتعبد التي كرّس حياته لها. ومع ذلك، رأى الآباء الشيوخ، تقديراً واحتراماً لمكانة القنصل أنثيميوس والإمبراطور، ضرورة تلبية الدعوة، معتقدين أن المصلحة العامة وواجب خدمة الآخرين يتطلب أن يستجيب الأب لدعوة القنصل، عندها لبّى الأب دوروثيوس الطلب، وذهب مع الموكب إلى القسطنطينية[2].

M. P. Peterlong, Bren. Berlin, New York, 2014, pp. 79-114; Narro, A., "Holy Water and Other Healing Liquids in the Byzantine Collections". *Rhemata Monografias*, 3 (2019), pp. 121-144; Sharafeeldean, R. M., "Coptic Medicine and Monastic Health Care System in the Early Centuries of Coptic Christianity". *International Journal of Tourism and Hospitality Management*, 2 (2019), pp. 72-97;

بالاديوس، التاريخ اللاوسي، ص 440 – 444 ؛ عبد العزيز رمضان، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الاسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، مج 5، 2007، ص 33– 97؛ سهير محمد مليجي، ظاهرة معجزات القديسين الشفائية، ص 133– 180.

[1] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 535؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369.

[2] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 532.

وعند وصول أبوللينارياً إلى القسطنطينية، كان من السهل عليها التعرف على الأماكن التي عاشت فيها، حيث كانت مليئة بالذكريات الكثيرة والمتنوعة التي مرت بها، كما تذكرت أصدقاء شبابها الذين كانوا جزءاً من حياتها في تلك الفترة. في البداية، اعتقدت أبوللينارياً أن الآخرين قد يتعرفون عليها بسهولة بسبب مكانتها السابقة ومعرفتها في المدينة، ولكن الواقع كان مغايراً تماماً، فقد تغير شكلها بشكل كامل نتيجة لنسكها الشديد وقسوة الحياة التي عاشتها في الصحراء، وسط الأجواء المشحونة والعواطف المتشابكة التي انتابت الأب دوروثيوس وهو جالس بين والديه، أعلنت القديسة أبوللينارياً قائلة: يا والدي الأعزاء، أنا ابنتكما أبوللينارياً...، ففوجئ الأب بشدة من هول المفاجأة، حيث دقق النظر في ملامحها وعاد إلى ماضيه ليتأكد من هويتها. كانت اللحظة حافلة بالتأملات العميقة، واختلطت مشاعر الفرح والحزن، حتى أنه صاح من شدة الصدمة. كانت الصدمة عظيمة على أنثيميوس، إذ لم يتوقع أبداً أن يلتقي بابنته بهذا الشكل، وهو الذي كان قد بحث عنها طويلاً. تيقن النبيل أنثيميوس أن هذا الراهب لم يكن سوى ابنته أبوللينارياً التي اختفت منذ زمن بعيد، وقد ارتدت زي الرهبان واختارت حياة النسك والتوبة، وهو ما جعل من الصعب عليه التعرف عليها في البداية. بعد أن تم شفاء شقيقته تماماً مما كانت تعانيه، طلب الأب دوروثيوس العودة إلى مصر، ورغم أن أنثيميوس عرض عليه العديد من الهدايا النفيسة تقديراً لمساعدته في شفاء ابنته، إلا أن الأب دوروثيوس رفض كل هذه الهدايا بكل تواضع، مؤكداً أن النساك والرهبان ليسوا في حاجة إلى هذه المكافآت المادية، وأوضح لهم أن مثل هذه الهدايا لا تفيدهم في شيء، حيث أن هدفهم الحقيقي هو العبادة والتقرب إلى الله بعيداً عن أي متاع دنيوي[1].

وعند عودة الأب دوروثيوس إلى صحراء نتريا، استمر في حياته الرهبانية المكرسة، حيث عاش في العبادة والزهد، بعيداً عن متاع الحياة الدنيا. مر الوقت، وبدأ الأب دوروثيوس يشعر باقتراب نهاية أيامه على الأرض، مما دفعه إلى التفكير في كيفية التعامل مع جسده بعد موته. في تلك اللحظات، طلب الأب دوروثيوس من الأب

---

[1] Rousseau, *Ascetics, Authority, and the Church*, 123-126;
فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 69 – 76.

مكاريوس Macarius أن يقوم بالواجبات الأخيرة تجاه جسده بعد وفاته، وأوصاه أن يُدفن كما هو دون أي تغييرات. كان يُصر على أن يُدفن في الملابس الرهبانية البسيطة التي ارتداها طوال حياته الرهبانية، دون أن يُجرى أي تعديل أو تغيير في جسمه، مُجسداً بذلك فلسفته الروحية التي تقوم على الزهد الكامل وتخلي الإنسان عن كل ما هو دنيوي[1].

وتُجسّد قصة أبوللينارِيا أروع أمثلة التحوُّل الروحيِّ والتضحية الذاتية، إذْ فضّلتْ حياةَ الزُّهدِ والعزلة الروحية على حياة التّرَف والرّفاهية. فقد تحدت وطأةَ الظروفِ البيئية القاسية والصّراعات النّفسية، كإخفاء الهُوية والعيش في الخَفاء، لتُظهر قوة الإيمان في مواجهة تلك التّحديات. كما تُبرِز القصة سموّ القِيَم الرُّوحية من خلال رفض الهدايا المادية أوالتّعلُّق بمُغريات الدُّنيا، وتُبين في الوقت ذاته قوّةَ الرّوابط الأسرية العميقة، مما يعكس التوازن الدقيق الذي يمكن أن يحققه الفرد بين قيمه الروحية والتزاماته الاجتماعية. تُعتبر مصر في هذه القصة مركزاً مهماً للنسك المسيحي، حيث أصبحت صحارى نتريا رمزاً للعزلة الروحية، مما يعكس مكانة مصر كموقع مقدس للنسك. في النهاية، تعلمنا القصة أن الإنسان يمكن أن يختار إعادة تعريف نفسه من خلال اختياراته الروحية بدلاً من ماضيه الاجتماعي، ليصل إلى الطهارة الروحية.

القديسة إفروسينا Saint Euphrosyne:

دارت أحداث هذه القصة في مدينة الإسكندرية خلال فترة حكم الملك ثيودوسيوس الثاني Theodosius II 408 – 450م، ابن الملك أركاديوس Arcadius (383 – 408م). كانت القديسة إفروسينا[2] تنتمي إلى إحدى العائلات الراقية في المجتمع السكندري، حيث كان والدها بفنوتيوس Bifnutius من أشراف المدينة ومن الشخصيات المرموقة ذات الإيمان العميق. أما والدتها، فلم تكن تقل عنه تقوى وإيماناً،

---

[1] Rousseau, *Ascetics, Authority, and the Church*, 123-126; Regnault, *The Day-to-Day Life*, p. 26;

متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 303؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص367– 369؛ ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر، ص 69 – 76.

[2] إفروسينا لفظة يونانية تعنى الفرحة، أو البهجة، أو الاستبشار.

حيث اشتهر كلاهما بالأعمال الخيرية المنتشرة بين الناس، وكانا ملتزمين بحضور الصلاة في الكنيسة بانتظام. ومع ذلك، كان الشيء الوحيد الذي يفتقدانه هو نعمة الأبناء، مما دفعهما إلى الصلاة والتضرع إلى الله. فاستجاب الله لدعواتهما ورزقهما بابنة أبهجت قلبيهما، وأطلقا عليها اسم إفروسينا[1].

كبرت إفروسينا وأصبحت شابة ناضجة، ولكن بعد وفاة والدتها، رغب والدها بشدة في تزويجها. على الجانب الآخر، كانت إفروسينا تحمل رغبة أقوى في أن تعيش حياة البتولية والتكريس الروحي. رفضت إفروسينا الزواج، وقررت الهرب من المنزل لتحقيق حلمها في الانضمام إلى الحياة الرهبانية. لإتمام ما خططت له، أعدت خطة محكمة، وأرسلت أحد مساعديها إلى أحد الأديرة القريبة لاستطلاع الأمر. عاد المساعد بسرعة بعد أن التقى بأحد الآباء الذي كان يبيع بعض الأعمال اليدوية التي أنجزها الرهبان. طلبت إفروسينا من هذا الأب تكريسها راهبة، مؤكدة رفضها القاطع لفكرة الزواج. وبفضل عزيمتها، تمكنت من تحقيق ما أرادت، وكرست حياتها بالكامل للعبادة[2].

حققت إفروسينا أولى خطوات حلمها بالتفاني الروحي، ولكن كان عليها الآن أن تجد مكاناً آمناً تعيش فيه، وأدركت أنها إذا ما لجأت إلى أحد أديرة العذارى؛ فإن والدها سيعثر عليها سريعاً ويعيدها إلى المنزل. لذلك، خطرت في بالها فكرة جريئة مستوحاة من شجاعة إحدى القديسات التي قرأت عنهن في التاريخ، فقررت التخفي في زي الرجال ومغادرة منزلها سراً. بعد أن رتبت أمورها بعناية، أخذت معها خمسمائة قطعة ذهب، وانتظرت حتى الليل حين كان جميع الخدم نائمين، لتغادر منزلها متخفية في الظلام، عازمة على بدء حياتها الجديدة[3].

---

[1] Clark, Elizabeth A. *Women in the Early Church*. Collegeville, Minnesota, Liturgical Press, 1983, pp. 152-155;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 539.

[2] Clark, *Women in the Early Church*, pp. 152-155;

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 156 – 158.

[3] Clark, Elizabeth A. *Women in the Early Church*, pp. 159-161.

توجهت إفروسينا إلى أحد الأديرة، مدعية أنها أحد خصيان[1] القصر الملكي، وأعربت عن رغبتها في الانضمام إلى حياة الرهبنة، وأوضحت أن الحياة داخل المدينة لا تمكنها من تحقيق هذا الهدف الروحي؛ لذا طلبت الإذن بالدخول إلى الدير والحصول على قلاية منعزلة في أطرافه. مؤكدة على أنها لن تسبب أي إرهاق لأحد، وأن وجودها سيبقى بعيداً عن الأعين، مكرسة حياتها بالكامل للعبادة[2].

تعكس أسباب خروج إفروسينا من منزلها رغبتها العميقة في التحرر من القيود الاجتماعية التي فرضتها حياتها كابنة للطبقة العليا، وتكريس ذاتها للحياة الروحية. هذا الانتماء الاجتماعي وضعها تحت ضغوط دنيوية صارمة، مما دفعها للبحث عن حياة جديدة تتسم بالزهد والتأمل بعيداً عن هذه الالتزامات. بالإضافة إلى ذلك، كان حب والدها الشديد لها كابنته الوحيدة ورغبته المستمرة في السيطرة على مصيرها دافعاً قوياً للهرب، حيث سعت إلى الإفلات من محاولاته لإعادتها إلى المنزل، وقد ضمنت تنكرها في زي الرجال، تحت اسم الراهب سمرجد Samargid، عدم عثور والدها عليها، كما يُرجح أن قرارها بالخروج كان نابعاً أيضاً من رغبتها في رفض الزواج الإجباري الذي ربما فُرض عليها بسبب مكانتها الاجتماعية. من خلال هذا التنكر،

---

[1] الخصي هو الرجل الذي فقد أعضائه التناسلية، مما يجعله أقرب في صفاته إلى النساء. في العصور الوسطى، صنف الفلاسفة أجساد الخصيان مع أجساد النساء والأطفال، معتبرين أن الإخصاء يقرب الرجل من خصائص الأنثى. في الإمبراطورية البيزنطية، لعب الخصيان دوراً مهماً في حاشية الإمبراطورة والأميرات، حيث كانوا يشرفون على شؤونهن ويلعبون دوراً في الحياة اليومية داخل القصر. وبفضل تدريبهم وخبراتهم، تولوا مهام إدارية واستشارية، مما منحهم نفوذاً سياسياً غير مباشر، وجعلهم عنصراً مهماً في استقرار القصر وحماية الإمبراطورات، خاصة في فترات الانتقال السياسي أو وصاية النساء على العرش. انظر:

Gleason, M.W., *Making Men: Sophists and Self-Presentation in Ancient Rome*. Princeton, Princeton University Press, 1995, pp. 46-47;

فاطمة إسماعيل عبد الله عبد الصمد، دور الخصيان فى الدولة البيزنطية فى الفترة من القرن التاسع حتى القرن الحادى عشر الميلادى، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2014م.

[2] Delcourt, "Female Saints in Masculine Clothing", pp. 84-102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32; Clark, *Women in the Early Church*, pp. 161-163;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 544.

سعت إفروسينا لتحقيق الحرية الروحية والانخراط في الحياة الرهبانية دون أي قيود أو عوائق[1].

دخلت إفروسينا الدير وقد قضت أيامها هناك في العبادة والتكريس الروحي، محققة بذلك ما كانت تطمح إليه. ومع مرور الوقت، شاءت الأقدار أن يتقابل والدها معها، ولكنه لم يكن يعرف هويتها، فحكى لها عن محاولاته المستمرة للعثور عليها. وعندما شاهدت حالته المزرية، شعر قلبها بالشفقة عليه، ووعدته بأنها ستساعده وتجعله يرى ابنته مرة أخرى. وبالفعل، تعلق الأب بـــسمرجد تعلقًا شديداً، دون أن يعرف أنه بالفعل كان يقابل ابنته. بعد مرور فترة من الزمن، مرض الأب سمرجد مرضاً شديداً، وفي لحظات ضعفه وقربه من الموت، أفصح عن سره، وكشف لوالده أنه في الحقيقة إفروسينا ابنته، التي كان يبحث عنها طوال هذه الفترة، لتقر عينه برؤيتها في النهاية، وطلب منه أن يظل على هذا السر، وألا يكشف لأحد أنه كان يتحدث إلى ابنته طوال هذه الفترة. وفي لحظات الوداع، طلبت إفروسينا من والدها أن يظل على سرية هذا الأمر ويعتني بتكفين جسدها، حيث كانت تفضل أن تُدفن ببساطة دون ضجة، كما طلبت منه أن يهتم بأن تظل ذكرى الدير في قلبه، وأن يحرص على تقديم العطايا والصدقات إلى هذا الدير الذي كان له دور كبير في سعادتها الروحية، وتحقيقها ما كانت ترجو من حياة التوبة والنسك[2].

سيطرت المفاجأة على بفنوتيوس، الذي ظل جالساً أمام جسد ابنته إفروسينا الذي فارقته الحياة بين يديه. بدا واضحاً أن مشاعر الحزن قد استبدت بقلبه، فلم يتمكن من كتمان الألم العميق الذي كان يعتصره. فعندما جاء الأب مكاريوس Macarius في موعد الزيارة المعتاد، لاحظ الحزن الذي كان يعتري بفنوتيوس، فاقترب منه وسأله عن السبب وراء هذا الحزن العميق. لم يتمكن بفنوتيوس من كتمان الخبر، فأخبر الأب مكاريوس بما حدث، وكشف له الحقيقة المدهشة أن سمرجد كان في الحقيقة هو

---

[1] Delcourt, “Female Saints in Masculine Clothing”, pp. 84-102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32;

رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص 137ص 138.

[2] Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32; Clark, *Women in the Early Church*, pp. 161-163;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 544.

إفروسينا، ابنته التي كانت تختبئ في زي رجل داخل الدير. كانت هذه الصدمة الكبيرة التي قلبت كل شيء رأساً على عقب. سرعان ما انتشر الخبر في أرجاء الدير، وأصبح حديث الجميع[1]. ومع مرور الأيام، تحول هذا السر إلى ذكرى مخلدة ترويها ألسنة الرهبان، وتجسد مثالاً من أمثلة التضحية والإيمان الكبير، حيث سعت إفروسينا طوال حياتها إلى التوبة والتكريس لله بعيداً عن الأنظار، لتثبت أن الطريق إلى الله لا يعرف حدوداً أو قيوداً[2].

تصدق بفنوتيوس بكل أملاكه ووزعها على الفقراء،والأديرة، ثم عاد إلى الدير الذي مكث فيه عشر سنوات في نفس القلاية التي تقدست بصلوات القديسة إفروسينا ثم فاضت روحه ودفن بجوار ابنته[3].

تجسد قصة إفروسينا رحلة روحية عميقة نحو التحرر والتضحية. تبدأ القصة بصراع داخلي بين رغبة المجتمع في رؤيتها تسلك طريق الزواج وتكوين أسرة، ورغبتها الشخصية في التضحية بكل ما هو دنيوي والعيش حياة مكرسة لله. ويعكس قرار الهروب والتخفي في زي رجل رغبتها القوية في التفرغ التام للعبادة بعيداً عن القيود الاجتماعية. تعكس القصة مفهوم التضحية، حيث تختار إفروسينا التخلي عن حياتها المرفهة والعائلية لتحقيق هدف روحي سام، كما تسلط الضوء على مفهوم الهوية والتخفي، إذ تظل إفروسينا متخفية عن الجميع حتى النهاية، مما يعكس التوتر بين العالمين الروحي والاجتماعي. في النهاية، تُظهر القصة أن الوصول إلى السلام الداخلي يتطلب تضحيات جذرية، وأن الإيمان الصادق هو السبيل الوحيد للتغلب على التحديات.

القديسة أنسطاسيا البطريقة Anastasia:

خلال عهد الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (527 – 565م)، كان هناك شخصيتان نسائيتان بارزتان في البلاط الإمبراطوري تحملان اسم أنسطاسيا[1] الثانية

---

[1] Delcourt, “Female Saints in Masculine Clothing”, pp. 84-102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32.

[2] راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 540، ص 550.

[3] Delcourt, “Female Saints in Masculine Clothing”, pp. 84-102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32.

منهما هي موضوع حديثنا، كانت متزوجة من أحد القناصل ولديها ابن، وقد هربت من مدينة أنطاكية مع البطريرك ساويرس. وتختلف الروايات حول أسباب هروبها، السبب الأول هو خوفها من تهديدات الإمبراطور جستنيان تجاه الأرثوذكس. أما السبب الثاني المطروح فهو أن هروبها إلى الإسكندرية كان نتيجة محاولة الإمبراطور جستنيان الزواج منها [2].

اتصفت أنسطاسيا بالعديد من الصفات الحميدة التي أكسبتها تقديراً واحتراماً ومحبة الجميع، بما في ذلك الإمبراطور جستنيان، إلا أن هذا التقدير أثار ضدها أحقاد الإمبراطورة ثيودورا Theodora[3]. في المقابل، كانت أنسطاسيا تسعى لتحقيق غايات أسمى، متطلعة لأن تكون أميرة في السماء وإحدى عرائس السيد المسيح عليه السلام [4]،

---

[1] تميزت إحدى هاتين الشخصيتين بقصة لافتة؛ فقد تزوجت من بطريق ينتمي إلى عائلة الإمبراطور. وبعد وفاة زوجها، قررت الابتعاد عن حياة البلاط ومغريات العالم، مكرسة حياتها للعبادة والتأمل. انسحبت إلى جبل الزيتون Mount of Olives حيث عاشت حياة الوحدة والتقوى. انظر:

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 558؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 460.

[2] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 158؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص460.

[3] الإمبراطورة ثيودورا Theodora، زوجة الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I، كانت داعمة قوية لمذهب المونوفيزيةMonophysitism ، رغم دعم جستنيان للعقيدة الخلقيدونية. استخدمت نفوذها السياسي لحماية المونوفيزيين الذين تعرضوا للاضطهاد، ووفرت لهم ملاذًا داخل البلاط الإمبراطوري. كما لعبت دور الوسيط بين المونوفيزيين والخلقيدونيين، مما ساهم في تهدئة التوترات الدينية. دعمها للمونوفيزية ساعد في استمراريته في مصر وسوريا، رغم سياسات جستنيان القمعية، مما جعلها شخصية محورية في الصراعات الدينية داخل الإمبراطورية البيزنطية. انظر:

Rautman, M. L., *Daily Life in the Byzantine Empire*. Greenwood Press, 2006, pp. 77-100;

عبد العزيز رمضان، "سياسة أباطرة أسرتي قسطنطين ثيودوسيوس تجاه العروض العامة بين الموروث الروماني والأيديولوجية الكنسية"، حولية المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2015، ص 9– 85؛ نعمات عبد المبدى على محمد، ثيودورا إمبراطورة الدولة البيزنطية (527–548م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس، 2017م.

[4] راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 559؛؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 460.

هذه الأسباب تكشف عن مدى تأثير الظروف الاجتماعية والدينية في تشكيل الخيارات الفردية للمرأة خلال تلك الحقبة.

في عام 536م، غادرت أنسطاسيا القصر الإمبراطوري خفية، بل غادرت مدينة القسطنطينية بأكملها. حملت معها كل ما تمكنت من جمعه من أموال، وانطلقت إلى مدينة الإسكندرية. هناك، قامت بتشييد دير مخصص للفتيات أطلق عليه اسم دير أنسطاسيا البطريقة Monastery of Patrician Anastasia عاشت في هذا الدير حياة الورع والتقوى، مجاهدة في العبادة وساعية لخلاص نفسها، إذ كانت عازمة على أن تكون عروساً للسيد المسيح عليه السلام، استمرت حياتها الهادئة في الدير حتى وفاة الإمبراطورة ثيودورا في عام 548م. بعد وفاة الإمبراطورة ثيودورا، حاول الإمبراطور جستنيان الأول استعادة أنسطاسيا إلى البلاط الإمبراطوري لتعود إلى مكانتها السابقة، انتشر هذا الخبر بسرعة في أنحاء الإمبراطورية، حتى وصل إلى مدينة الإسكندرية، بل إلى الدير الذي كانت تقيم فيه القديسة[1].

طبقًا للرواية الثانية، بدأ الإمبراطور جستنيان الأول من جديد في اضطهاد الأرثوذكس الهاربين. فهربت أنسطاسيا مرة أخرى متخفية في زي راهب، وذلك بسبب ذيوع شهرتها في شيهيت Shiet. شعرت أنسطاسيا بانزعاج شديد من رغبة الإمبراطور في إعادتها إلى البلاط الإمبراطوري، خاصة بعد أن ذاقت حلاوة العبادة والوحدة. بالنسبة لها، أصبح البلاط الإمبراطوري مجرد مكان يعج بالاضطراب، ومسرحاً للشهوات الدنيوية، وخوفاً من أن يتم اكتشاف مكانها وإجبارها على العودة، قررت أنسطاسيا البحث عن ملاذ آمن. في ليلة مظلمة، غادرت الدير سراً مرتدية زي الرجال، وأطلقت على نفسها اسم "أنستاسيوس الخادم Anastasios the Servant، وتوجهت إلى أعماق برية الإسقيط Scetis، حيث تباركت من أجساد التسعة والأربعين شهيداً من شيوخ شهيت، فالأسباب التي دفعتها للتخفي في زي الرجال ترتبط بالسعي لتحقيق الحرية الروحية والاجتماعية، والتمسك بقيم الزهد والطهارة، والهرب من القيود المفروضة عليها كإمرأة. وفي الإسقيط، التقت بـــالأنبا دانيال Daniel، قمص

[1] Coquin, R. G., "Anastasia, Saint". In *The Coptic Encyclopedia*, edited by Aziz S. Atiya, Vol. 1, CE:125b - 126b. New York, MacMillan, 1991;
إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 158؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص460

البرية، وأطلعته على قصتها. روت له ظروف مغادرتها للقسطنطينية، وحياتها في ديرها بالإسكندرية، والبركات التي نالتها أثناء فترة إقامتها. كما طلبت منه، بإلحاح شديد، أن يرشدها إلى ما يجب عليها فعله، لتكمل حياتها بعيداً عن البلاط، مكرسة وجودها لعبادة الله[1].

استجاب الأنبا دانيال قمص البرية لمناشدة أنسطاسيا، وساعدها في تحقيق رغبتها في العيش حياة التنسك بعيداً عن العالم. قدم لها زياً خاصاً بالرهبان، وأرشدها إلى إحدى القلايات المنعزلة في عمق الصحراء، حيث يمكنها التفرغ لعبادتها في هدوء تام[2]، وضع الأنبا دانيال لها مجموعة من القوانين الصارمة التي يجب أن تلتزم بها، وكان أبرزها عدم السماح لأي شخص بالدخول إلى قلايتها تحت أي ظرف، كما عين أحد تلاميذه ليكون مسؤولاً عن تلبية احتياجاتها الأساسية. طلب منه أن يحمل إليها جرة ماء بشكل دوري، يضعها أمام باب القلاية بصمت تام، دون أن ينطق بأي كلمة، ثم يعود على الفور[3]. وهذا المسلك من رجل الدين يسلط الضوء على حكمة الأنبا دانيال وتعامله بحكمة ورحمة مع الحالات الاستثنائية، فقد أدرك أن تنكر أنسطاسيا لم يكن بدافع الخداع أو التمرد، بل كان نتيجة ظروف قاسية دفعتها للبحث عن ملاذ آمن للحفاظ على طهارتها وإيمانها، فأظهر تعاطفاً كبيراً مع دوافعها واعتبرها دليلاً على حبها لله ورغبتها في حياة النسك.

مكثت القديسة أنسطاسيا مدة ثمانية وعشرين عاما لا يعلم عنها أحد، تجتهد وتجاهد في صلوات وأصوام مستمرة، محاربة الأعداء غير المرئيين، والتي كانت تنتصر عليهم بمعونة الله[4]. كانت أنسطاسيا تعبر عن أفكارها من خلال كتابة تأملاتها على شقفة من الخزف، تضعها على باب قلايتها، حيث يأخذها الراهب الذي يحضر لها

---

[1] راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 560.

[2] Coquin, Anastasia, Saint, 1991.

رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 219؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 412–413؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 460.

[3] راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 561؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 460.

[4] Coquin, Anastasia, Saint, 1991;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 561.

الماء دون أن يقرأها. كشف الله لها ساعة وفاتها، وأرادت أن تُعلم الأنبا دانيال بذلك، لكن الله نفسه أطلعه على الأمر. عندئذ، طلب الأنبا دانيال من تلميذه أن يُحضِر الأدوات اللازمة لتجهيزها، وانطلقا معاً إلى قلايتها. هناك وجداها في لحظاتها الأخيرة، وقاما بدفنها في نفس القلاية التي عاشت فيها وجاهدت. هكذا، عاشت أنسطاسيا كأحد رهبان دير أنبا مقار من سنة 548م، وحتى وفاتها عام 576م[1].

لاحقاً، أعلن الأنبا دانيال لتلميذه وآباء البرية عن قداسة هذه المرأة التي جاءت من أعرق الأسر في القسطنطينية ، وتحدث عن حياتها الملهمة، حيث وهبت نفسها للمسيح، تاركة وراءها كل مجد هذا العالم، وأوضح جهادها الروحي، إذ حاربت الشيطان، وعذبت جسدها بالتقشف، وأفنت أيامها في عبادة الله وخدمته، ورفضت الشهوات الدنيوية، وأطلقت على نفسها اسم "أنستاسيوس الخادم"[2]. أي أنه استخدم قصتها كدرس روحي يُبرز أهمية النية الطاهرة والنظر إلى العمق الداخلي للإنسان، بغض النظر عن الشكل الخارجي أو الظروف.

وتُسلّط الرواية الأولى الضوء على العلاقة بين الإمبراطور جستنيان الأول وأنسطاسيا، حيث كان جستنيان مُعجباً بشخصيتها وصفاتها الحميدة، وهو ما أثار حقد الإمبراطورة ثيودورا عليها. بعد وفاة ثيودورا، حاول جستنيان استعادة أنسطاسيا إلى البلاط، وهو ما يعكس تقديره لها. وتُبرز الرواية أن أنسطاسيا كانت رمزاً للزهد والتقوى، حيث رفضت حياة القصر بكل مغرياتها واختارت حياة العبادة والتقشف. فرارها إلى الإسكندرية ثم الإسقيط يعكس التزامها العميق بالقيم الروحية، كما تكشف الرواية جانباً إنسانياً من شخصية جستنيان، إذ يظهر فيها كرجل متأثر بمشاعره تجاه أنسطاسيا، مما يُضفي بعداً درامياً على الأحداث، ورغم هذا البُعد الشخصي، تبقى القصة أقرب إلى الأدب الروحي منها إلى التاريخ المُوثق.

وتُبرز الرواية الثانية الإمبراطور جستنيان كشخصية قمعية استخدمت سلطتها السياسية لفرض العقيدة الخلقيدونية، مما أدى إلى اضطهاد الأرثوذكس الرافضين لهذه العقيدة، وتشير إلى أن هروب أنسطاسيا مع البطريرك ساويرس من أنطاكية كان نتيجة

---

[1] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 219؛ متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 412 – 413؛ يؤانس (الأنبا)، تنسك العذارى ورهبنتهن، ص 460.

[2] راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 561.

التهديدات الإمبراطورية، مما يربطها بحركة مقاومة دينية أوسع ضد سياسات جستنيان القمعية، خاصة في مصر وسوريا. وتُظهر الرواية أن الدين كان أداة للسيطرة في بيزنطة خلال القرن السادس الميلادي، مما يعكس التوترات الدينية والسياسية آنذاك. وفي هذا السياق، يُبرز دور أنسطاسيا كرمز للزهد والمقاومة الروحية، مما يُلقي الضوء على دور النساء الأرستقراطيات في التصدي للاضطهاد الإمبراطوري.

وتُقدم الروايتان منظورين مختلفين تماماً حول شخصية الإمبراطور جستنيان ودوره في القصة. تُركّز الرواية الأولى على الجانب الشخصي للإمبراطور، مسلّطة الضوء على إعجابه بأنسطاسيا وصفاتها الروحية، مما يُظهره كشخص متأثر بمشاعره الإنسانية. في المقابل، تأخذ الرواية الثانية منحى سياسياً ودينياً أوسع، حيث تضع الأحداث في إطار صراع الإمبراطور مع المونوفيزيين واضطهاده لهم. بينما تُبرز الرواية الأولى أنسطاسيا كشخصية تُلهم الآخرين بزهدها وتفانيها الروحي، تُقدمها الرواية الثانية كرمز للمقاومة الدينية ضد سياسات القمع الإمبراطوري، وفي الوقت الذي يظهر فيه جستنيان كإمبراطور إنساني في الرواية الأولى، يتم تصويره في الرواية الثانية كحاكم سلطوي استغل الدين لتحقيق سيطرته السياسية.

هيلاريا ابنه الإمبراطور زينون الكبرى Hilaria:[1]

ذهبت إيلاريا إلى برية شهيت، وهي في سن الثامنة عشرة. كانت لا تزال في زي القائد العسكري عندما التقت بالأنبا بامبو Anba Bambo الذي توفي عام 347م طلبت منه أن تترهب وتعيش حياة الزهد والتنسك، لكن الأنبا بامبو أوضح لها صعوبة

---

[1] تؤكد سيرة إيلاريا/هيلاريا، أنها إحدى بنات الإمبراطور زينون Zeno، إمبراطور القسطنطينية (474 – 491). لقد كان زينون معروفاً بمقاومته لمجمع خلقيدونية Chalcedon الذي عُقد في عام 451م، والذي كان يتضمن قرارات دينية حول طبيعة المسيح والتي كانت تتعارض مع المعتقدات الأرثوذكسية التي كان يتبناها. ويُظهر التاريخ أن إيلاريا كانت متأثرة بأفكار والدها الإمبراطور زينون فيما يتعلق بالمسائل الدينية، حيث كان موقفه من خلقيدونية جزءاً من سعيه للحفاظ على وحدة الكنيسة. انظر: Youssef, Y. N., "Two Liturgical Quotations from Coptic Hagiographical Texts." *Ancient Near Eastern Studies*, 35 (1998), pp. 145-149; راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 522؛ صموئيل قزمان معوض، "بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا والقديس أنبا كيروس"، مجلة مدرسة الإسكندرية، ع ٢٩، ٢٠٢٠م، ص ٢٣٥-٢٦١.

الترهب في تلك المنطقة، وأشار إليها أن برية شهيت كانت لا توفر الراحة الجسدية، بل على العكس، كان الرهبان في هذا المكان بعيدين عن المدن والمجتمع، ولا يجدون حتى ثياباً كافية، وشرح لها أن الدير الذي كان قريباً من الإسكندرية والمعروف بدير الزجاج Glass Monastery كان أكثر راحة، حيث يكثر هناك الرهبان الذين كانوا في السابق من رجال أثرياء وقد وجدوا عزاءهم وراحتهم هناك، وأكد لها أن هؤلاء الرهبان قد اعتادوا على الحياة الهادئة والمريحة، في حين أن برية شهيت كانت بعيدة عن مصر، ولم يكن فيها وسائل الراحة التي كانت قد نشأت عليها[1]، وأمام إصرار إيلاريا على الترهب، طلب الأنبا بامبو من الشماس الذي كان برفقته أن يعطي المال الذي جلبته إلى البابا في الإسكندرية، وبعد أن منحها الأنبا بامبو قلاية بالقرب منه، ارتدت إيلاريا ملابس الرهبان وبدأت حياتها الرهبانية[2]، كان الأنبا بامبو يزورها مرتين يومياً للتأكد من أحوالها، وكان برفقته أيضاً الأنبا مارتيريون Anba Martirion، وهو فيلسوف كان يتولى ترجمة الحديث بينها وبين الأنبا بامبو إلى اللغة اليونانية، وبفضل هذه الترجمة تمكنت إيلاريا من تعلم اللغة المصرية القبطية، مما ساعدها على التواصل بشكل أفضل مع الرهبان المحليين، واغتنام الفرص الروحية التي كانت تقدمها الحياة الرهبانية في برية شهيت[3]. تعلم إيلاريا اللغة القبطية لا يساعد فقط في تحسين تواصلها الروحي والاجتماعي مع الرهبان المحليين، بل يُظهر أيضاً تحولاً ثقافياً ومعنوياً كبيراً حيث أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التقليد الكنسي المصري، وبهذا الشكل توفرت لها فرصة أوسع لفهم العمق الروحي للمجتمع الذي انضمت إليه.

وبعد أن مكثت إيلاريا ثلاث سنوات في قلايتها المعزولة، اكتشف الأنبا بامبو أنها في الحقيقة فتاة، لكنه لم يكن يعلم أنها ابنة الملك. وعندما علم بذلك، نصحها بحذر شديد قائلاً: "لا يجب أن يعرف أحد أنكِ امرأة، لئلا يتسبب ذلك في ضرر لأحد، لأن هذا الأمر لا يتناسب مع حياتنا الرهبانية"[4]، كانت هذه النصيحة تعبيراً عن التقاليد الرهبانية

---

[1] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 202؛ صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥-٢٦١.

[2] Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 132.

[3] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 202؛ صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥- ٢٦١.

[4] صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥- ٢٦١.

الصارمة التي تمنع وجود النساء في المجتمعات الرهبانية، حيث كان من غير المألوف أن تُقيم امرأة وسط الرهبان[1]، وأوضح الأنبا بامبو أن هذا الأمر قد يُعرِّض حياتها الروحية لخطر، ولذلك كانت الحاجة إلى الحفاظ على سرية هويتها أمراً بالغ الأهمية[2]، وهنا نجد أن الأنبا بامبو كان لديه بُعد نظر روحي مكّنه من إدراك ما وراء المظاهر. رغم أن إيلاريا كانت متنكرة، إلا أن حكمته الروحية جعلته يشعر بأن هناك شيئاً مميزاً وغير اعتيادي بشأنها، فلم يسارع الأنبا بامبو إلى كشف حقيقة إيلاريا. وبدلاً من توبيخها، تعامل معها بهدوء وصمت، محافظاً على سرّها حتى الوقت المناسب. هذه الخطوة أظهرت احترامه لقرارها وحياتها الروحية.

بعد تسع سنوات من إقامتها في الدير، لاحظ الرهبان أن هذا الراهب لم تكن تنمو لحيته كما هو الحال مع الرجال الآخرين، مما أثار شكوكهم حول هويته الحقيقية. وبناءً على ذلك، أطلق عليه لقب "إيلاريون الخصي Ilarion the Eunuch". لقد عاشت لسنوات طويلة مرتدية زي الرهبنة[3] مدة واحد وعشرين عاماً حتى بلغت مكانة عاليه، ومنحها الله موهبة إخراج الشياطين، وماتت في أواخر القرن الخامس الميلادي، وطلبت تكفينها بملابسها[4] في دير الأنبا مقار[1].

---

[1] Evagrius, "On the Eight Thoughts", pp. 76-78; idem, "The Monk: A Treatise on the Practical Life", p. 98; idem, "On Thoughts", pp. 163-164.

[2] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 202؛ صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥– ٢٦١.

[3] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 202؛ إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 131– 132؛ صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥– ٢٦١.

Hotchkiss, Valerie R. *Clothes Make the Man: Female Cross Dressing in Medieval Europe*. New York, Routledge, 1996, p. 136; Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 30.

[4] في تاريخ الرهبنة المسيحية، كان القديسون، خصوصاً الرهبان، يُدفنون في ملابسهم الرهبانية كرمز للزهد والتقوى. كانت الملابس بسيطة وتعكس حياة الزهد التي اختارها الرهبان لخدمة الله. من بين الاستثناءات التاريخية البارزة، كان القديس بولا St. Paul يرتدي ثياباً بسيطة من أغصان النخيل، وقد لبس القديس أنطونيوس St. Anthony رداءه بعد وفاته، مما يرمز لاستمرارية الفكر الرهباني. أما القديس أثناسيوس St. Athanasius فقد دُفن بملابسه الرهبانية، التي كانت تُعتبر رمزاً للطهارة والزهد. كذلك، كان القديس سيرابيون يُدفن بملابس رهبانية، رغم عدم وجود تفاصيل دقيقة حول

تُعد قصة هيلاريا إحدى القصص الوعظية التي تحمل طابعاً رمزياً عميقاً، إذ أن هناك شكوكاً حول صحتها التاريخية بناءً على غياب الأدلة الوثائقية حول وجود بنات للإمبراطور زينون، بالإضافة إلى حقيقة أن عملية اختفاء امرأة في زي راهب، مع الحفاظ على سرها حتى وفاتها، تُعد أمراً شائعاً في كثير من الحكايات الوعظية التي تهدف إلى تعزيز الرسائل الروحية، إن إصرار أصحاب السير على الحفاظ على سرية حياتهم الخاصة، وكذلك التزام آباء اعترافهم بسرية تلك الاعترافات، كانا سبباً رئيساً في الغموض الذي يكتنف العديد من سير القديسين والنساك في الصحراء. هذا الغموض أدى إلى ضياع أسماء الكثير منهم، مما جعل ذكرهم مجهولاً في معظم الأحيان. ومن اللافت في هذا السياق أن سيرة هيلاريا تتشابه بشكل كبير مع سيرة القديس أبو لينارياء مما يشير إلى أن الغرض من القصة كان في المقام الأول توعوياً وليس توثيقياً، قد يكون الكاتب قد لجأ إلى توظيف عناصر من سير مشابهة لتكملة الرواية وتعزيز الرسالة الروحية التي تحملها، خاصة في سياق تشجيع حياة الزهد والتفاني في العبادة بعيداً عن أضواء الشهرة والسلطة.

أثناسيا Athanasia :

ظهرت تساؤلات حول دقة تأريخ هذه القصة وإمكانية نسبتها إلى القرن السادس الميلادي، نشأت أثناسيا في مدينة أنطاكية Antioch، وكانت متزوجة من رجل يُدعى أندرنيقوس Andronicus، وكان صائغاً للفضة. عاش الزوجان حياة سعيدة، ورُزقا بولدين كانا محور حياتهما ومصدر سعادتهما، إلا أن فقدانهما المفاجئ لطفليهما في يوم

ملابسه عند وفاته. هذه الملابس كانت جزءاً من الهوية الروحية للقديسين، وكان يُعتقد أن من يرتديها يشاركهم في أفكارهم المقدسة وبركتهم. انظر:

Harmless, W., *Desert Christians: An Introduction to the Literature of Early Monasticism*. Oxford University Press, 2004;

رغد عبد النبي جعفر المالكي، "طافوس الرهبان المصريين حتى القرن الخامس للميلاد"، مجلة كلية التربية الأساسية، مج 21، ع 91، 2015، ص 601– 628.

[1] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 201 – 202؛ رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر، ص114؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 521؛ عبد العزيز رمضان، صورة المرأة في الأدب الرهباني، ص 241– 282؛ فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار، ص 363– 365؛ صموئيل قزمان معوض، بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا، ص ٢٣٥– ٢٦١.

واحد بسبب إصابتهما بحمى شديدة ترك أثراً عميقاً في نفسيهما. غمرهما الحزن، ولكن بعد تلقي إشارات روحية، قررا إعادة ترتيب حياتهما. أعلنا للجميع أنهما سيذهبان في رحلة عمل، في حين كانا يخططان سراً لأمر آخر، دون أن يبوحا بما يعتزمان القيام به. بدأ الزوجان رحلتهما الروحية بزيارة الأراضي المقدسة في فلسطين، حيث رغبا في أن تكون بداية جديدة لحياتهما، وجدوا تشجيعاً كبيراً من الآباء الرهبان القائمين على أديرة فلسطين، الذين حثوهما على الثبات في قرارهما وإكمال مسيرتهما الروحية[1]، كانت وجهتهما التالية مدينة الإسكندرية، حيث تابع كل منهما طريقه الخاص لتحقيق غايته. ذهب أندرونيقوس Andronicus لمقابلة الأنبا دانيال Daniel، قمص برية شهيت، لاستشارته بشأن خطواتهما المستقبلية، بينما توجهت أثناسيا لزيارة مزار القديس مارمينا St. Menas للتبرك والصلاة[2].

وبعد أن أنهى أندرونيقوس Andronicus ترتيب جميع أمورهما، عاد إلى زوجته أثناسيا Athanasia وأخذها معه إلى الأنبا دانيال الذي أوصى بدخولها إلى دير طبانيسى Tabenisi، حيث كانت توجد أديرة البنات التي أسسها الأنبا باخوميوس Pachomius، لتبدأ هناك حياتها الروحية.

أما أندرونيقوس، فقد ارتدى زي رهبان برية شهيت، وعاش لمدة اثني عشر عاماً تحت إرشاد الأنبا دانيال، مكرساً حياته للصلاة والنسك[3] بعد مرور فترة من الزمن، شعر أندرونيقوس Andronicus برغبة عميقة في زيارة الأراضي المقدسة، فطلب الإذن من الأنبا دانيال Daniel الذي منحه موافقته. أثناء رحلته، وبينما كان يستريح من حر النهار، شاءت العناية الإلهية أن تتقاطع رحلته مع رحلة زوجته أثناسيا كانت

---

[1] Chitty, D.J., *The Desert a City: An Introduction to the Study of Egyptian and Palestinian Monasticism under the Christian Empire*. St. Vladimir's Seminary Press, 1995, p. 159;

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 159.

[2] Chitty, *The Desert a City*, p. 159;

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 159؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 554.

[3] Chitty, *The Desert a City*, p. 147;

إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 159؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 554.

أثناسيا قد حصلت على موافقة الأم رئيسة الدير لتقوم برحلة إلى الأراضي المقدسة هي الأخرى، لكنها اختارت أن تتنكر في زي الآباء الرهبان وأطلقت على نفسها اسم "أثناسيوس الخادم"، لتخفي هويتها الحقيقية أثناء رحلتها الروحية[1] تغيرت ملامح أثناسيا بشكل كبير بسبب رحلتها الطويلة والتعرض المستمر لحرارة الشمس الحارقة في الصعيد، مما أدى إلى تحول لون جلدها إلى اللون الداكن. نتيجة لهذا التغير، لم يتمكن أندرونيقوس Andronicus من التعرف عليها، بينما استطاعت هي التعرف عليه بسهولة[2].

خلال استراحة في الطريق، تبادل أندرونيقوس حديثاً مع الأب أثناسيوس، وعندما علم أنه متجه إلى زيارة الأماكن المقدسة، أعرب عن رغبته في مرافقته لإكمال الرحلة معاً، وافق الأب أثناسيوس على طلبه بشرط أن يلتزما بالصمت التام طوال الطريق. أتم أندرونيقوس وأثناسيوس رحلتهما إلى الأماكن المقدسة كما اتفقا، ملتزمين بالصمت طوال الطريق. عند عودتهما إلى مدينة الإسكندرية، طلب الأب أثناسيوس من أندرونيقوس أن يرافقه ويعيش معه. لاقت الدعوة ترحيباً من أندرونيقوس، لكنه أصر على الحصول على موافقة الأنبا دانيال قبل اتخاذ أي خطوة. ذكّره الأب أثناسيوس برغبته في الالتزام بحياة الصمت التام، تماماً كما كانا طوال الرحلة، وأوضح له أنه

---

[1] كانت الرحلات إلى الأراضي المقدسة في العصور الوسطى تنطوي على العديد من المخاطر التي جعلت السفر تحدياً كبيراً، لا سيما للنساء. افتقار الطرق إلى البنية التحتية الآمنة والتجهيزات الأساسية جعل الرحلات طويلة ومرهقة وغير مضمونة. واجه المسافرون مخاطر متنوعة، أبرزها هجمات قطاع الطرق الذين كانوا يتربصون بالقوافل لسرقة الأموال والمؤن. بالإضافة إلى ذلك، شكلت التضاريس الصعبة، مثل الصحارى القاحلة والمناطق الجبلية، تحديات جسيمة، خاصة مع نقص المياه والغذاء. بالنسبة للنساء، زادت المخاطر بسبب محدودية الحماية والتقاليد الاجتماعية التي حدّت من تحركاتهن، مما جعل وجودهن في هذه الرحلات أكثر تعقيداً. علاوة على ذلك، زادت الاضطرابات السياسية والصراعات العسكرية في المناطق المحيطة بالأراضي المقدسة من احتمالية تعرض القوافل للاعتداء أو الأسر. ومع ذلك، ظل الحجاج مدفوعين بشوقهم الروحي العميق للتقرب إلى الله، مما جعلهم يتحملون هذه المخاطر بشجاعة لمزيد من التفاصيل حول هذا الأمر انظر:
Riley-Smith, J., *The Crusades: A History*. New Haven, CT: Yale University Press, 2005, pp. 123-125.

[2] Chitty, *The Desert a City*, p. 147;
إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 159؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 554.

إذا كانت هذه الطريقة تناسبه، فإنه مرحب به للعيش معه، أما إذا لم يكن هذا النهج مناسباً له، فمن الأفضل ألا يحضر قبل أندرونيقوس نمط الحياة الذي اقترحه الأب أثناسيوس، وانتقل للعيش معه، حيث عاشا معاً لعدة سنوات في جو من الصمت والنسك في دير الأوكتا كيدكاتون Octa Kidekaton ويعرف باسم "دير الثمانية عشر"[1].

وخلال تلك الفترة، كان الأنبا دانيال يزورهم باستمرار، ليشجعهم ويقويهم بكلماته الروحية. في إحدى زيارات الأنبا دانيال، كان "الأب أثناسيوس" على فراش الموت، وقد سلم كتاباً إلى أندرونيقوس، طالباً منه قراءته بعد وفاته. عندما قرأ أندرونيقوس الكتاب، اكتشف الحقيقة المدهشة: الأب أثناسيوس لم يكن سوى زوجته أثناسيا، التي أخفت هويتها طوال تلك السنوات. صُدم أندرونيقوس بقوة إرادتها وقدرتها على التغلب على جميع الصعاب دون أن تثير شكوكه. انتشر الخبر سريعاً، وأصبح رمزاً لمدى قوة المرأة في مواجهة التحديات وتحقيق الأهداف الروحية[2].

في إطار ما سبق، يمكننا ملاحظة أن القصة تُمثل نموذجاً قوياً للإرادة الإنسانية والإيمان، أما أهميتها كمصدر تاريخي للفترة المذكورة يمكن التشكيك في قدرتها على تقديم توثيق عميق للأحداث بسبب طابعها الروائي في بعض الأجزاء. شخصية أثناسيا تمثل تحولاً جذرياً من حياة الترف والراحة إلى حياة الزهد والعزلة الروحية، وهو تحول يعكس إرادة حديدية وشجاعة استثنائية. التخفي في هيئة رجل والعمل بصمت لسنوات طويلة يظهران تصميمها على تحقيق أهدافها الروحية السامية، متجاوزة القيود

---

[1] يقع دير الثمانية عشر في منطقة سانت كاترين بجنوب سيناء، مصر. يُعتبر هذا الدير من أقدم الأديرة المسيحية في العالم، حيث تأسس في القرن السادس الميلادي بأمر من الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول. يضم الدير مكتبة تحتوي على مخطوطات نادرة، ويُعد موقعاً تاريخياً ودينياً مهماً. لمزيد من التفاصيل انظر:

Forsyth, W., *The Monastery of Saint Catherine on Mount Sinai*. Princeton: Princeton University Press, 1999, pp. 45-47; Meinardus, *Monks and Monasteries*, pp. 89-93.

[2] Chitty, *The Desert a City*, p. 147;

راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 556.

المجتمعية والنوعية التي كانت مفروضة على النساء في تلك الحقبة. من خلال شخصيتها، تبرز القيم المسيحية الجوهرية مثل الإيثار، التضحية، والتواضع.

لا يمثل قرار أثناسيا بالتنكر وتحمل حياة النسك مجرد رحلة فردية، بل يعكس صراعاً أوسع مع الأدوار الاجتماعية التقليدية المفروضة على المرأة. تمكنها من إخفاء هويتها وتجاوز القيود التقليدية يبرز رسالة قوية حول قدرة النساء على تحدي المعايير المجتمعية والتفوق في السياقات الروحية والاجتماعية. أما أندرونيقوس، فيُكمل الصورة كشريك يُظهر قبولاً واحتراماً لطبيعة الحياة الروحية الجديدة التي اختارتها أثناسيا، مما يعبر عن قيم الإيمان المشترك والتفاهم، رغم عدم معرفته بهويتها الحقيقية. لحظة اكتشاف هويتها بعد وفاتها تمثل ذروة درامية تجسد قوة العلاقة بينهما المبنية على الاحترام والحب المتبادل، مما يضيف بعداً عاطفياً وإنسانياً للقصة. القصة بذلك تتجاوز حدود السرد التقليدي، لتفتح نقاشاً حول قدرة الإنسان على تحدي قيود المجتمع وتحقيق أهداف روحية، مع إلقاء الضوء على دور المرأة ومكانتها في السياقات الدينية والاجتماعية في العصورالوسطى.

القديسة مارينا الراهبة Marina the Nun:

وردت سيرة القديسة مارينا الراهبة في العديد من المخطوطات التاريخية، إذ تُعتبر واحدة من أبرز النماذج النسائية التي تنكرت بزي الرهبان. كان دافعها الأساسي هو حبها العميق لوالدها ورغبتها في البقاء معه دون فراق، كانت مارينا نشأت في كنف الكنيسة، حيث تعلمت قراءة المزامير ودراسة الكتاب المقدس منذ صغرها، بعد وفاة والدتها في سن العاشرة، أصبح ارتباطها بالمسيح أكثر قوة، وتوجهت نحو حياة الإيمان، وعندما بلغت السادسة عشرة، رفضت فكرة الزواج التي اقترحها والدها، وعندما قرر والدها الانضمام إلى أحد أديرة الرجال ليعيش حياة الرهبنة، أصرت مريم مرافقتَه إلى الدير، متخفية في زي راهب، مشيرة إلى صعوبة انفصالها عنه، رفض والدها في البداية لكنها أصرت، فوافق في النهاية على اصطحابها معه، ولإخفاء هويتها؛ أطلق عليها اسم "مارينا" وقص شعرها، مما ساعدها على التنكر في زي راهب والاندماج في حياة الرهبنة، ومشاركة والدها حياة الزهد والعبادة. لقد كان التنكر وسيلة لها لتجاوز القيود الاجتماعية والنوع السائدة في ذلك الوقت، كما أنه كان يعكس حبها العميق وتعلقها بوالدها، فضلًا عن سعيها لحياة مكرسة لله بعيداً عن

الصعوبات التي كانت تواجهها كأنثى في المجتمع، بعد سنوات قليلة من حياتها الرهبانية، توفي والدها، لكنها استمرت في حياتها في الدير متخفية. بسبب حداثة سنها وضعف بنيتها؛ لم يسمح رئيس الدير للراهب مارينا بالخروج مع الرهبان لقضاء حاجات الدير. مع مرور الوقت، طلب الآباء من رئيس الدير السماح للأب "مارينا" بمرافقتهم لتلبية بعض احتياجات الدير، وبعد إلحاح وافق. أثناء الرحلة، نزلوا في أحد الفنادق التي اعتاد الرهبان النزول فيها. تصادف أن ابنة صاحب الفندق، التي كانت قد ارتكبت خطيئة، نسبت الفعل إلى الراهب مارينا، مدعية أنه السبب بعد انكشاف أمرها[1]. وعندما وضعت مولودها، أخذه والدها ووضعه أمام الدير، بعدما واجه رئيس الدير باتهاماته، وقذف الرهبان والأب "مارين" بكل أنواع الشتائم. على إثر هذه الواقعة، تم طرده من الدير، لكنه لم يغادر المكان تماماً، بل عاش أمام بوابة الدير لمدة ثلاث سنوات، مكرساً حياته للصلاة والتقوى دون انقطاع. بعد هذا الوقت، حنّ قلب رئيس الدير تجاهه، وأعاد السماح له بالدخول إلى الدير، ليواصل حياته الروحية مع بقية الرهبان. بعد عودته إلى الدير، قضى سنوات عديدة في أعمال شاقة ونسك قاسٍ، كنوع من التأديب عن الخطيئة التي نُسبت إليه زوراً. ظل ملتزماً بحياة التقوى والصلاة حتى انتهت حياته، وعندما وافته المنية، تولى الإخوة واجبات الدفن التقليدية، وخلال ذلك فوجئوا بأن الراهب مارينا كان في الواقع امرأة. أثارت هذه المفاجأة دهشة الجميع، ولم يستطع رئيس الدير أن يخفي تعاطفه تجاه الظلم الذي تعرضت له. على الفور، أرسل إلى صاحب الفندق وأعلمه بالخطأ الجسيم والظلم الذي وقع على هذه القديسة البريئة، موضحاً التضحيات التي قدمتها والصبر الذي أبدته طوال حياتها في سبيل الإيمان والتقوى[2].

وتُعتبر قصة القديسة مارينا الراهبة نموذجاً تاريخياً يعكس التفاعل بين الدين والمجتمع في العصور المسيحية المبكرة. من خلال التحديات التي واجهتها، يظهر كيف كان على النساء أن يتحدين القيود الاجتماعية المفروضة عليهن، وكيف يمكن

---

[1] Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 131.

[2] رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، ص 487؛ يوسف حبيب، القديسة مارينا الراهب، من مخطوطات دير البرموس. (د.ن)، 1970م، ص 2–4؛ دي لاسى ايفانز اورلى، قديسو مصر حسب التقويم القبطي، مكتبة المحبة، القاهرة، 2000م، ص 440–441.

للإيمان العميق أن يتغلب على هذه القيود، كما تبرز القصة الأبعاد الروحية والتضحيات الشخصية التي قد تتطلبها الحياة الدينية، فضلاً عن قدرة الإنسان على التحمل والصبر والتسامح.

ثيودورا Theodora:

كانت ثيودورا امرأة نبيلة من الإسكندرية، متزوجة من رجل مسيحي. رفضت محاولات رجل غني التقرب منها، فدفعه ذلك إلى إرسال ساحرة لخداعها، فوقعت في الخطيئة دون وعي. وعندما أدركت ما حدث، شعرت بندم عميق، وهربت إلى صحراء الإسقيط لتتوب. هناك، انضمت إلى دير متخفية في صورة رجل تحت اسم "ثيودور". وهنا قد يكون التخفي في زي الرجال وسيلة للتعامل مع الشعور بعدم الأمان أو القهر، كما أنه يوفر وسيلة للابتعاد عن الأنظار والهروب من انتقادات المجتمع، وحماية هويتها الحقيقية من الملاحقة أو الكشف، خاصة كونها من عائلة نبيلة، كما أنه هو الخيار الوحيد أمامها لتحقيق هدفها بالانضمام إلى الحياة الرهبانية. من المحتمل أن تكون ثيودورا قد استوحت فعلها من قصص مماثلة لنساء تنكرن في زي الرجال للوصول إلى حياة الرهبنة، مما عزز قرارها وساعدها على تحمل التحديات. خلال فترة وجودها في الدير، أجرت العديد من المعجزات، منها إنقاذ رجل هاجمه وحش بري، وإعادته سالماً ومعافى. في إحدى المرات، وفي أحد الأيام راودت فتاة "الأخ ثيودور" عن نفسه، لكنه رفض. وفيما بعد، حملت الفتاة من رجل آخر، لكنها اتهمت ثيودور زوراً بأنه والد طفلها. نتيجة لذلك، تم طرد ثيودورا من الدير وأُجبرت على تربية الطفل. وقد عاشت ثيودورا خارج الدير لمدة سبع سنوات، كرست خلالها حياتها لتربية الطفل الذي اتهمت به ظلماً[1]. ورغم الإغراءات التي تعرضت لها، أظهرت ثيودورا إخلاصاً نادراً لتوبتها وعزيمة راسخة على طريق النقاء الروحي، متجليةً في صبرها والتزامها بقوانين التوبة. في النهاية، أعادها رئيس الدير إلى المجتمع الرهباني. وبعد عامين، نصحت ابنها بالتبني باتباع طريق التوبة الذي سلكته، وعندما توفيت، تم كشف هويتها الحقيقية كأنثى، وأنها اتهمت ظلماً، مما أثار الندم في قلوب جميع من شاركوا في اتهامها. كما استدعى رئيس الدير زوجها، الذي جاء ليعبر عن

[1] Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 132.

حزنه لفقدانها، وعاش في قلايتها حتى وفاته[1]، بالرغم من الظلم الذي تعرضت له ثيودورا، فإنها تظل نموذجاً لشجاعة المرأة في مواجهة القيود الاجتماعية والسعي لتحقيق الإيمان والتكفير عن الذنوب، حتى وإن تطلب ذلك خطوات استثنائية.

القديسة يوجينا Eugenia:

تشابهت حياة القديسة يوجينيا مع أبناء العائلات الثرية الوثنية، حيث نشأت في بيئة مميزة بفضل مكانة عائلتها الاجتماعية وثروتها الكبيرة. ومع ذلك، لم يكن لهذا الثراء ولا للسلطة التي تمتعت بها عائلتها القدرة على إشباع طموحها الروحي. كانت يوجينيا تتطلع إلى هدف أعمق يعبر عن المعنى الحقيقي لحياتها، حتى سمعت عن المسيحية وعن النساك الذين كرّسوا حياتهم لله، فشعرت بأن هذا هو الطريق الذي كانت تبحث عنه. لم يكن الطريق سهل، فبسبب القيود التي واجهتها النساء آنذاك، قررت يوجينيا التنكر في هيئة رجل، مما مكنها من الانضمام إلى أحد أديرة الرجال، حيث عاشت كرجل راهب تحت اسم "الراهب أوجينوس Eugenius". خلال حياتها في الدير، واجهت تحديات عديدة، أبرزها اتهام زور من امرأة حاولت إغواءها، إلا أنها تصدت لهذه المحنة بشجاعة أثبتت قوة إيمانها وثباتها على طريق التقوى[2].

تحظى القديسة يوجينيا بمكانة مميزة بين القديسين، حيث تجاوزت شهرتها حدود مصر بفضل أعمالها الروحية والمعجزات التي نُسبت إليها، فقد وفد الكثيرون على الأديرة المصرية طلباً للشفاء – على أيدي القدسين والقدسيات – من أمراض مستعصية أو ميئوس منها من أجل من أمراض مستعصية أو ميئوس منها؛ وكانوا يعتقدون بقدرتهم على الشفاء وصنع المعجزات فقد تجاوزت شهرتهم حدود مصر[3].

---

[1] Jacobus de Voragine, Ryan W.G. and Duffy E., *The Golden Legend: Readings on the Saints*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012, pp. 324-325; Hanna, *The Power of Coptic Women Saints*, pp. 43-44;

سهير محمد مليجي، ظاهرة معجزات القديسين الشفائية، ص 133– 180.

[2] Delcourt, "Female Saints in Masculine Clothing", pp. 84–102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32.

[3] Hanna, *The Power of Coptic Women Saints*, pp. 72-74;

نعيمة محمد إبراهيم، "صفحات من تاريخ الضيافة والإحسان في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي ودورها في التنمية السياحية"، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم،

أقدمت القديسة يوجينا، على علاج زوجة أحد أعضاء مجلس الشيوخ السكندريين، ميلانيا Melania، التي شفيت من مرضها المستعصي على يديها[1]. هذا يعكس عمق وإيمان القديسة وقوة تأثيرها الروحي.

وفي إطار ما سبق تكشف حياة القديسة يوجينيا عن تداخل معقد بين السلطة الاجتماعية والدين، حيث تُبرز سيرتها كيف أن الإيمان يمكن أن يُلهم الأفراد لتجاوز القيود المجتمعية والجنسية لتحقيق طموحات روحية عميقة. اختيارها التنكر في هيئة رجل يعكس شجاعة استثنائية ورغبة قوية في تحدي الأعراف السائدة، مما يسلط الضوء على دور النساء في إثراء الحياة الدينية وتغيير التصورات الثقافية والدينية السائدة.

ويبدو أن هذه السير الثلاث الأخيرة تمثل نموذجاً موحداً لتلاقي القيم الروحية مع التحديات الاجتماعية التي واجهتها النساء في المجتمع المسيحي المبكر، فقد قررت الشخصيات الثلاث في هذه القصص القديسة مارينا الراهبة، وثيودورا، والقديسة يوجينا التنكر في زي رجال لتتمكن من ممارسة الحياة الرهبانية بحرية أكبر، بعيداً عن القيود الاجتماعية المفروضة على النساء، وهو ما كان يمثل تحدياً اجتماعياً ورغبة في التحرر الروحي، كما تعرضت جميع هذه الشخصيات لاتهامات زائفة بسبب تنكرهن في زي رجال، مما أدى إلى معاناتهن من الظلم الاجتماعي والديني، فالقديسة مارينا اتهمت بالخطيئة المزعومة، وثيودورا اتهمت ظلماً بأبوة طفل لم يكن لها، بينما تعرضت القديسة يوجينا لاتهام بالتحرش، ورغم هذه الاتهامات، أبدت هذه الشخصيات تضحيات عظيمة من أجل إيمانهن، حيث واجهن العزلة والظلم وصبرن على المحن، ما يعكس التضحية التي يقدمها بعض المسيحين بالعالم المادي من أجل الحياة الروحية،

مج 16، ع 2022،3م، ص 215 – 217؛ سهير محمد مليجي، ظاهرة معجزات القديسين الشفائية، ص 133–180.

[1] متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، ص 346؛ عبد العزيز رمضان، البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين، ص 33– 97؛ أسامة فايز استقلال أحمد، الطب وطرق التدواي في مصر البيزنطية 284 – 642م، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، 2015م، ص243– 246؛ سهير محمد مليجي، ظاهرة معجزات القديسين الشفائية، ص 133– 180.

وبعد معاناتهن، تم السماح لهن بالعودة إلى الحياة الرهبانية، مما يعكس قيم الرحمة والتوبة في المسيحية، قدمت هذه الشخصيات – من خلال معاناتهن – نموذجاً للقداسة والإيمان والتضحية، مما جعل قصصهن جزءاً من التراث الأدبي المسيحي الذي يعكس التحديات الاجتماعية والدينية في فترة التحول المسيحي في مصرالبيزنطية.

عموماً، في إطار هذه السير نجد أن العوامل التي دفعتهن إلى التنكر بزي الرجال شملت أبعاداً اجتماعية، ودينية، ونفسية. لقد كان التنكر بمثابة وسيلة للتحرر من القيود الاجتماعية الصارمة التي فرضتها الأعراف والتقاليد، حيث أتاح لهن التنكر في بعض الأحيان البحث عن حرية دينية تمكنهن من ممارسة طقوسهن بعيداً عن أشكال التمييز والاضطهاد. في سياقات أخرى، كان التنكر ملجأ لحماية أنفسهن من الملاحقات أو الأذى الذي قد يتعرضن له، كما اعتمدته بعضهن وسيلة للفرار من زيجات قسرية مفروضة أو كخيار اضطراري للتغلب على ظروف اقتصادية قاسية تهدد أمنهن واستقرارهن.

ومن أبرز الأسباب التي دفعت بعض النساء إلى التنكر بزي الرجال هو السعي لتحقيق الحرية الدينية، خاصة في مجتمعات محافظة تفرض قيوداً صارمة على حركة المرأة وتعليمها، فقد واجهت النساء تحديات اجتماعية عديدة كانت تعيقهن عن ممارسة حياتهن الروحية بحرية، مما جعل الانضمام إلى الأديرة والتخفي بزي الرجال وسيلة لتحقيق استقلال ذاتي أكبر، فقد أتاح هذا التنكر لهن فرصة المشاركة في الأنشطة الدينية والروحية التي كانت غالباً مقتصرة على الرجال، مما مكنهن من تعميق التزامهن الديني بعيداً عن القيود المجتمعية، لقد كانت هذه الممارسة منتشرة بين النساء الراغبات في الانخراط الكامل في الحياة الدينية، متجاوزات بذلك العقبات الاجتماعية التي فرضتها الأعراف والتقاليد[1].

وبالإضافة إلى الحرية الدينية، كانت هناك دوافع شخصية واجتماعية أخرى وراء هذا التنكر، منها الرغبة في رضا الرب والابتعاد عن المجد الزائف، مع الإحساس بأنهن "عرائس المسيح". وتأتي أغلب هؤلاء النساء من الطبقات الراقية أو العائلات الحاكمة، وكنّ يفضلن هذا التخفي لتجنب التعرف عليهن، مما يعرقل مسيرتهن نحو الهدف الروحي، ويمنع عائلاتهن من إعادتهن إلى الحياة التي هربن منها. علاوة على

[1] Schulenburg, *Forgetful of their Sex*, p. 32.

ذلك، لجأت بعضهن إلى هذا السبيل هرباً من الفساد الأخلاقي الذي ساد في تلك الفترة، وتجنباً لملاحقات أصحاب السلطة والنفوذ الذين سعوا إلى استغلالهن بشكل غير أخلاقي[1].

خلاصة القول أن في تلك الفترة كانت هناك مجموعة من العوامل الاجتماعية والدينية والنفسية؛ دفعت بعض النساء والفتيات إلى التخفي في زي الرجال كراهبات، سعياً وراء تحقيق استقلالهن الروحي والاجتماعي في ظل قيود مجتمعية صارمة. من الناحية الاجتماعية، كانت القيود المفروضة على النساء تحصرهن في أدوار تقليدية مثل الزواج والإنجاب، مما جعل التخفي وسيلة للهروب من الزواج القسري والحياة الأسرية المقيدة، والسعي نحو حياة أكثر حرية واستقلالية داخل الأديرة. كما أتاحت هذه الخطوة للنساء فرصة للوصول إلى أماكن وفرص تعليمية ودينية كانت مقصورة على الرجال، مما مكنهن من الانخراط بعمق في الحياة الرهبانية وتحقيق مكانة دينية أعلى. دينياً، مثّل التخفي وسيلة لتحقيق الكمال الروحي، حيث كانت النساء الراغبات في الزهد الكامل يرين في أديرة الرجال فرصة لتحقيق انضباط روحي أعلى مع المثاليات المسيحية العليا. إضافة إلى ذلك، ارتبط الزهد بقيم العذرية والنقاء التي كانت ذات أهمية كبيرة في المسيحية المبكرة، وكان التخفي وسيلة للحفاظ على هذه القيم بعيداً عن ضغوط المجتمع والأسرة. أما من الناحية النفسية، فقد وفر التخفي شعوراً بالتمكين والقوة للنساء في بيئة هيمنة الذكور، وساعدهن على تجاوز الشعور بالضعف أو القهر، كما مكنهن من إعادة تعريف هويتهن الذاتية والتعبير عن طموحاتهن الروحية بحرية أكبر، في النهاية، يعكس هذا التخفي ديناميكيات معقدة تعكس التفاعل بين الدين والمجتمع والنفس البشرية، ويوضح كيف استطاعت النساء تحدي القيود المفروضة عليهن بوسائل مبتكرة وشجاعة.

---

[1] إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية، ص 132؛ محمد عثمان عبد الجليل، الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية، ص 346 – 379؛ راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم، ص 521.

موقف الكنيسة المصرية تجاه تخفي النساء في زي الرجال:

جدير بالذكر أن هذه الظاهرة – في تلك الحقبة – لم تكن مقتصرة على مصر، بل ظهرت نماذج مشابهة في أماكن أخرى، حيث اختارت بعض النساء التخفي في هيئة رجال لتكريس حياتهن للزهد والتقوى. من بين هذه النماذج القديسة سوسنة Susanna التي قصدت ديراً قرب أورشليم، حيث اتخذت اسم الراهب يوحنا John، والتي عاشت عشرين عاماً في حياة صارمة من التقشف، حتى اكتُشفت هويتها بسبب تهمة زائفة، والقديسة بيلاجيا Pelagia، فقد غادرت أورشليم إلى قلاية في جبل الزيتون حيث تنكرت باسم بيلاجيوس Pelagius لتعيش حياة عزلة ونسك صارمة، ولم تُكتشف هويتها إلا أثناء تجهيزها للدفن[1]، ومن النماذج الأخرى القديسة مارينا Marina، التي أقامت في دير قنوبين، الذي أسسه الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير قرب طرابلس في بلاد الشام، وتنكرت باسم الأب مارين Marin، واكتُشفت هويتها الحقيقية بعد وفاتها[2]، وتتشابه كل هذه الحالات في أنها حالة فردية تمثل ظروفاً استثنائية حيث اختارت النساء التنكر لأسباب شخصية أو دينية خاصة، غالباً للهروب من الضغوط الاجتماعية.

لقد تفاوت موقف رجال الدين من تنكر النساء في زي الرجال بشكل كبير بين الحالات العامة، مثل حركة الأوستاثيون، والحالات الفردية، مثل إيلاريا، رفضت الكنيسة ظاهرة تخفي الراهبات بزي الرهبان، التي ظهرت منذ فترة مبكرة مع نشوء الرهبنة في مصر، وأدانت هذا السلوك بشدة، ففي حالة حركة الأوستاثيون، التي تبنت الزهد المتطرف وشجعت النساء على ارتداء زي الرجال كوسيلة لإلغاء الفوارق بين الجنسين، واجه رجال الدين هذه الممارسات برفض شديد، واعتبرت الكنيسة هذه التصرفات خروجاً عن التقاليد والعقيدة الصحيحة، حيث أصدر مجمع جانجرا Council of Gangra (340م) قانوناً يجرّم هذه الظاهرة، باعتبارها تهديداً للنظام

---

[1] Brock/Harvey, "2. Pelagia," in *Holy Women of the Syrian Orient* edited by Sebastian P. Brock and Susan Ashbrook Harvey, 40-62. Berkeley: University of California Press, 1988. https://doi.org/10.1525/9780520920958-008

[2] Delcourt, "Female Saints in Masculine Clothing", pp. 84–102; Anson, The Female Transvestite, pp. 1-32; Talbot, A., "Life of St. Mary/Marinos". in *Holy Women of Byzantium: Ten Saints' Lives in English*, Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1996, pp. 1-12.

الديني والاجتماعي. على النقيض، أبدى رجال الدين مرونة أكبر في التعامل مع الحالات الفردية مثل إيلاريا، التي اختارت التنكر لأسباب شخصية تتعلق بالتقوى والزهد[1]، على سبيل المثال، أظهر الأنبا بامبو تفهماً كبيراً عندما اكتشف هويتها الحقيقية، ولم يكشف سرها حفاظاً على استقرار المجتمع الرهباني مع تلبية الاحتياجات الروحية الفردية. يعكس هذا التباين قدرة الكنيسة على التمييز بين التوجهات الجماعية التي قد تهدد التقاليد العقائدية، والحالات الفردية التي تستدعي التعاطف والرعاية الروحية.

اتخذت الكنيسة في مصر في العصر البيزنطي موقفاً صارماً ومعارضاً تجاه ظاهرة تخفي النساء في زي الرجال، خاصة في السياقات الدينية[2]. لم يكن هذا الموقف نابعاً فقط من التحريم الواضح الذي فرضته الشريعة اليهودية، كما ورد في سفر التثنية 5: 22، بل أيضاً من التقاليد الكنسية التي هدفت إلى الحفاظ على التوازن الاجتماعي والعقائدي داخل المجتمع الرهباني. ارتبط هذا الرفض بعدم قبول الكنيسة للممارسات التي قد تُعتبر انحرافاً عن العقيدة الصحيحة أو خروجاً عن النظام الطبيعي.

وقد أدان مجمع جانجرا، الذي انعقد في منتصف القرن الرابع الميلادي بفلاجونيا Paphlagonia، بشدة تخفي النساء في زي الرجال نص القانون الثالث عشر من هذا المجمع صراحةً: "لا يجوز للمرأة أن ترتدي الملابس المعتادة للرجل، ومن تفعل ذلك تكون محرومة"[3]. لم يكن هذا النص مجرد قانون، بل كان تعبيراً عن رفض الكنيسة لأي ممارسات تهدد التقاليد والأعراف الدينية. كما أكدت الرسالة السينودسية Synodal Letter في المادة السادسة نفس الموقف، مشيرةً إلى أن تبديل الملابس بين الجنسين يمثل تهديداً للوحدة العقائدية والأخلاقية.

وبالرغم من هذه الإدانة الصارمة، فإن تاريخ تلك الفترة يشير إلى وجود تحديات روحية واجهها رجال الدين، بخاصة مع انتشار حركات مثل حركة الأوستاثيون. هذه الجماعة، التي اتسمت بمنهج زهدي متطرف، شجعت فيه النساء على ارتداء ملابس

---

[1] Schulenburg, *Forgetful of Their Sex*, p. 32.

[2] Elm, The Organization and Institutions of Female, pp. 108-111; Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, pp. 30-31.

[3] Van Doorn-Harder, *Contemporary Coptic Nuns*, p. 31.

الرجال كوسيلة للتعبير عن قداسة روحية تُلغي الفوارق بين الجنسين، واعتبرت الكنيسة هذه الممارسات خروجاً عن التقاليد، خاصة إذا كانت مصحوبة بالكبرياء الروحي أو الخرافات. مع ذلك، تعامل بعض الآباء مع حالات فردية بمرونة وحكمة، كما يظهر في موقف الأنبا دانيال والأنبا بامبو. موقف الأنبا دانيال من أنسطاسيا يعكس روح الرعاية الروحية الأبوية التي توازن بين الالتزام بالعقيدة وتلبية الاحتياجات الروحية لبعض الأفراد. عندما لجأت أنسطاسيا، النبيلة التي تخلت عن حياتها الملكية، إلى الأنبا دانيال، استجاب لطلبها بتوفير زي الرهبان لها وإرشادها إلى قلاية في الصحراء حيث يمكنها أن تعيش حياة زهد وعبادة. كان قراره مدفوعاً برغبته في حماية دعوتها الروحية، مع الالتزام بمبادئ الرهبنة.

على الجانب الآخر، واجه الأنبا بامبو حالة مختلفة مع إيلاريا عد سنوات من عيشها في قلاية منفردة، اكتشف الأنبا بامبو أن إيلاريا كانت امرأة. ورغم ذلك، اختار عدم الكشف عن هويتها لحماية سلامة المجتمع الرهباني. يعكس قراره فهماً عميقاً للتحديات الرعوية، والالتزام بالحفاظ على التوازن بين الفرد والجماعة. رغم اختلاف الظروف بين الحالتين، يشترك كلا الموقفين في روح الرعاية الروحية الأبوية التي تتجاوز التطبيق الحرفي للقوانين. كلا الرجلين اختار الحفاظ على السرية لتجنب الاضطراب داخل المجتمع الرهباني، مع التأكيد على أهمية الزهد والروحانية كأهداف أساسية للحياة الرهبانية. بينما ركز الأنبا دانيال على دعم أنسطاسيا منذ البداية، تعامل الأنبا بامبو مع تحدٍ عقائدي واجتماعي بعد اكتشافه حقيقة إيلاريا. تشير هذه المواقف إلى مرونة الآباء في التعامل مع الحالات الفردية دون التضحية بالقيم الأساسية. هذه المرونة، التي تجمع بين الحكمة والتفهم، تظهر قدرة الكنيسة في مصر في العصر البيزنطي على مواجهة التحديات الروحية بطريقة تحافظ على التوازن العام داخل المجتمع الرهباني.

وبناءً على ما سبق، تبرز هذه السير التاريخية تحولاً روحياً عميقاً في مصر في العصر البيزنطي خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي، حيث لجأت بعض النساء إلى الهروب من الأدوار الاجتماعية التقليدية عبر اختيار حياة الزهد والعزلة الروحية. من خلال هذه السير، مثل إفروسينا، أبوللينارياً، وأنسطاسيا، وغيرهن، يظهر تأثير الرهبنة كوسيلة لمواجهة التحديات الاجتماعية والسياسية السائدة، مع السعي لتحقيق

السلام الروحي بعيداً عن ترف البلاط الإمبراطوري. اختارت هؤلاء النساء التنكر في زي الرجال والعيش في أماكن نائية، كوسيلة للهروب من القيود الاجتماعية وتحقيق التفرغ الكامل للحياة الروحية. بالمقارنة مع سير القديسة مارينا الراهبة، وثيودورا، والقديسة يوجينيا، نجد أنهن واجهن تحديات مماثلة، حيث استخدمن التنكر كوسيلة للتغلب على القيود المجتمعية والدينية المفروضة عليهن. ساعد هذا التنكر في منحهن الفرصة لممارسة الحياة الرهبانية بحرية، بعيداً عن التمييز بين الجنسين، والدخول إلى مجالات دينية كانت حكراً على الرجال. كما أن معاناتهن مع الاتهامات الزائفة والضغوط الاجتماعية عكست حجم الظلم الذي واجهته النساء في تلك الحقبة، لكنها أبرزت أيضاً صمودهن والتزامهن بقيمهن الروحية. في النهاية، تعكس هذه السير جانباً فريداً من التراث المسيحي، حيث يظهر فيها الصراع المستمر بين القيم الروحية والضغوط الاجتماعية، مما يجعلها شهادة حيّة على التضحيات العميقة التي قدمتها النساء لتحقيق الحرية الروحية والعيش في ظل المساواة الدينية.

الخاتمة Conclusion:

في ختام هذا البحث، نجد أن تنكر النساء في زي الرجال في مصر في العصر البيزنطي؛ كان انعكاساً لتفاعل معقد بين الأبعاد الاجتماعية والدينية والنفسية، التي شكلت حياتهن في ظل قيود مجتمعية صارمة، فقد مثّل التنكر وسيلة للهروب من الأدوار التقليدية كزوجات وأمهات، ومن الزواج القسري والحياة الأسرية المقيدة، كما كان التنكر وسيلة لتحقيق الكمال الروحي والالتزام بقيم العذرية والنقاء، التي مثلت جزءاً مهماً من الرهبنة المسيحية، ولقد كانت ظاهرة ارتداء الراهبات للزي الذكوري في مصر في العصر البيزنطي تجسيداً لإرادة بعض النساء في تجاوز الحدود الاجتماعية والدينية المفروضة عليهن. من خلال هذا الفعل، سعت الراهبات إلى التفرغ الكامل للحياة الروحية والتنسك، متحديات الأدوار التقليدية التي كانت تقتصر على الرجال، فكانت هذه الظاهرة خطوة جريئة نحو التحرر الروحي، وتحدياً للصور النمطية التي كانت تحدد مكانة المرأة في المجتمع الديني، بالإضافة إلى ذلك، كانت تلك الممارسات تعبيراً عن إصرارهن على تحقيق المساواة الروحية مع الرجال في مجال العبادة والزهد، رغم ما وجههن من تحديات، مثل الاتهامات الزائفة والمعاناة الاجتماعية والدينية، مما زاد من تضحيتهن وصبرهن لتحقيق أهدافهن الروحية،

وأوضحت الدراسة أن هذا التحدي لم يكن مجرد فعل فردي، بل كان انعكاساً للصراع الداخلي بين الرغبة في العزلة الروحية والضغوط المجتمعية، التي تفرض أدواراً ثابتة على الجنسين، وإن هذه الظاهرة تبرز بوضوح كيف تمكنت النساء من استخدام أداة التنكر كوسيلة لتحقيق أهدافهن الروحية، كما أنها أسهمت في إعادة تعريف مشاركة النساء في المجال الديني، مما يعكس تحولاً في مفاهيم الهوية والجنس في العصر البيزنطي، ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة على النحو التالي:

- تسلط النتائج الضوء على دور الممارسات الروحية في تغيير التصورات الثقافية وإعادة تشكيل أدوار المرأة في المجال الديني، مما مكنهن من تجاوز الفوارق التقليدية بين الجنسين، وإثبات مكانتهن في الحياة الروحية بمعايير جديدة تتجاوز القيود المجتمعية.
- كشفت الدراسة أن اللجوء إلى الأماكن النائية مثل الصحاري كان رمزاً للعزلة والتوبة الروحية، فقد مثلت الصحراء فضاءً للنقاء والتحرر الروحي الكامل، بعيداً عن الضغوط الاجتماعية التي يفرضها المجتمع الحضري.
- كان ارتداء الراهبات للزي الذكوري بمثابة تحدٍ للأعراف المجتمعية والدينية السائدة، لكنه أتاح لبعض النساء فرصة التحرر الروحي الكامل والانخراط في حياة الزهد والنسك بمعزل عن تأثيرات المجتمع، مما مكنهن من تحقيق تفانٍ كامل في الحياة الروحية بعيداً عن القيود الاجتماعية.
- استخدمت النساء التنكر كوسيلة لتجاوز القيود التي فرضتها الهويات الجسدية، مما أتاح لهن التوحد مع هوية دينية محايدة تتجاوز الفوارق الجسدية، وتُظهر التزاماً عميقاً بالقيم الروحية. ومن خلال التخفي بزي ذكوري، فاستطاعن مواجهة الصور النمطية التي اقتصرت الأدوار الدينية على الرجال، في خطوة جريئة تهدف إلى تحدي التمييز القائم على الجنس. مما ساعدهن على كسر الحواجز الاجتماعية والدينية، وعزز مفهوم المساواة الروحية بين الجنسين، ووسع أفق أدوار النساء داخل الإطار الديني.
- سعت النساء إلى تحقيق مساواة روحية مع الرجال من خلال التنكر والانخراط في الحياة الرهبانية، مما مكنهن من تجاوز الأدوار التقليدية وكسر القيود المجتمعية المفروضة عليهن، وأتاح لهن بناء هوية جديدة تعكس طموحاتهن الروحية، متخطيات

الحواجز التي حالت دون مشاركتهن في الأنشطة الدينية الأساسية، مما أسهم في إعادة تعريف دور المرأة داخل الإطار الديني والاجتماعي وأن الزهد ليس حكراً على جنس معين.

- تمكنت النساء من الانخراط في المجتمعات الرهبانية عبر التنكر، مما أتاح لهن أداء أدوار متساوية مع الرهبان وتجاوز الحواجز التي حالت دون مشاركتهن في الأنشطة الدينية. عبرن عن التزام عميق بقيم الزهد والتقشف، مع التأكيد على أن هذه القيم لا تقتصر على جنس معين. ساعدهن التخفي على ممارسة حياة روحية تتسم بالعزلة والتقشف بحرية أكبر، مما عزز مكانتهن داخل الأوساط الدينية وأثبت أن الالتزام الروحي يمكن أن يتخطى السياقات التقليدية والقيود المجتمعية.
- لعبت النساء المتنكرات دوراً حيوياً في تطوير الحركة الرهبانية داخل المجتمعات المسيحية المبكرة، حيث أتاح لهن التنكر الانخراط في أنشطة دينية كانت مقتصرة على الرجال، مؤكدات بذلك أن أدوار المرأة يمكن أن تتجاوز القيود التقليدية المفروضة. كما ساعدهن التنكر على الحفاظ على هويتهن الروحية بعيداً عن التدخلات المجتمعية، مما وفر لهن الحرية لممارسة حياتهن الروحية دون قيود، وعزز شعورهن بالأمان والانتماء إلى مجتمعات دينية أكثر تقبلًا.
- أظهرت قصص النساء المتنكرات قوة إرادتهن وشجاعتهن في مواجهة التحديات لتحقيق أهدافهن الروحية، حيث جسدن التزاماً عميقًا بالمثل والقيم الدينية، مما ساعدهن على تخطي العقبات الاجتماعية والدينية والتأكيد على قدرة الإرادة الروحية في تجاوز التمييز. وقد أثرت هذه القصص في التراث الديني المسيحي، وألهمت النساء في المجتمعات اللاحقة للتصدي للتحديات وتحقيق تطلعاتهن الروحية، مما رسخ دور المرأة وأهميتها في السياق الديني.
- تجسد سير شخصيات مثل إفروسينا وأبوللينياريا نماذج ملهمة لقدرة النساء على تحدي القيود الاجتماعية والدينية، حيث أثرت قصصهن على التراث الديني والثقافي وأظهرت إمكانية تحقيق تطلعات روحية رغم العقبات. وقدمت هؤلاء النساء المتنكرات تضحيات كبيرة شملت التخلي عن أسرهن ومكانتهن الاجتماعية، معبرات عن إخلاص وتفانٍ استثنائيين. ساهمت هذه التضحيات في بناء صورة مثالية عن الالتزام الروحي، مما ألهم الأجيال اللاحقة بتقدير القيم الدينية والروحية.

- انتشرت ظاهرة تنكر النساء بزي الرجال إلى مناطق عديدة خارج حدود مصر، مما أبرز طابعها العالمي وأكد شموليتها. ساهمت هذه الظاهرة في إثراء التراث الثقافي والديني، معبرة عن التحديات المشتركة التي واجهتها النساء عبر مختلف الثقافات، ومسلطة الضوء على وحدة التجارب الإنسانية في مواجهة القيود الاجتماعية.
- أبرز تنكر النساء في زي الرجال قدرة استثنائية على تحقيق توازن بين الالتزام بالمبادئ الدينية ومراعاة الظروف الفردية. هذا النهج أظهر حكمة القيادة الروحية في التعامل مع الظاهرة، وأسهم في حماية النساء المتنكرات، مما ساعد في تعزيز ثقة المجتمع بالقيادة الدينية وقدرتها على التكيف مع التحديات.

قائمة المصادر والمراجع Bibliography

أولاً: المصادر المعربة:

- باللاديوس، التاريخ اللاوسي، ضمن كتاب التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي، ترجمة ساويرس البراموسي، مركز باناريون للتراث الآبائي، القاهرة، 2013م.
- رينيه باسيه، مخطوط السنكسار القبطى اليعقوبى، تنسيق وتعليق ميخائيل مكسى أسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2003م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Amélineau, É., *Monuments pour server à l'histoire de l'Égypte chrétienne. Histoire des monasteries de la Basse-Égypte,* Cairo, 1894.
- Brakke, D., "The Lady Appears: Materializations of 'Woman' in Early Monastic Literature". *Journal of Medieval and Early Modern Studies,* 33, 3, 2003, pp. 387-402. https://doi.org/10.1215/10829636-33-3-387
- ----------, *Athanasius and the Politics of Asceticism.* Oxford Early Christian Studies. Oxford: Clarendon Press, 1995.
- Bricault, L., "Isis–Sarapis Syrus and John between Healing Gods and the Thaumaturgical Saints." In *The Alexandrian Tradition: Interactions between Science, Religion, and Literature*, edited by L. A. Guichard, J. L. Garcia, and M. P. Peterlong, Bren. Berlin, New York, 2014.
- Brock, S.P. and Susan A.H., "2. Pelagia." In *Holy Women of the Syrian Orient*, edited by Sebastian P. Brock and Susan Ashbrook Harvey, 40-62. Berkeley: University of California Press, 1988. https://doi.org/10.1525/9780520920958-008.
- Chitty, D.J., *The Desert a City: An Introduction to the Study of Egyptian and Palestinian Monasticism under the Christian Empire*. St. Vladimir's Seminary Press, 1995.
- Clark, E.A., *Women in Early Christianity*. Oxford University Press, 1990.
- ----------, *Women in the Early Church*. Collegeville, MN, Liturgical Press, 1983.
- Cloke, G., *This Female Man of God: Women and Spiritual Power in the Patristic Age, AD 350-450,* London and New York, Routledge, 1995.

- Coquin, R.G., "Anastasia, Saint." In *The Coptic Encyclopedia*, edited by Aziz S. Atiya, Vol. 1, CE: 125b - 126b. New York, MacMillan, 1991.
- ----------, "Tabennese". In *The Coptic Encyclopedia*, edited by Aziz S. Atiya, Vol. 7, CE:2197a-2197b. New York, MacMillan, 1991
- Delcourt, M., "Female Saints in Masculine Clothing." In *Hermaphrodite: Myths and Rites of the Bisexual Figure in Classical Antiquity,* London, 1961.
- Elm, S. K., "The Organization and Institutions of Female Asceticism in Fourth Century Cappadocia and Egypt." D. Phil. dissertation, Oxford University, 1986.
- Forsyth, W., *The Monastery of Saint Catherine on Mount Sinai*. Princeton: Princeton University Press, 1999.
- Gleason, M.W., *Making Men: Sophists and Self-Presentation in Ancient Rome*. Princeton, Princeton University Press, 1995.
- Hanna, T. A. L., *The Power of Coptic Women Saints: Historical and Analytical Study of Coptic Women Saints as Spiritual Models for Coptic Women in the USA and Egypt*. PhD diss., Claremont Graduate University, 2020.
- Harmless, W., *Desert Christians: An Introduction to the Literature of Early Monasticism*. Oxford University Press, 2004.
- Hotchkiss, V. R., *Clothes Make the Man: Female Cross-Dressing in Medieval Europe*. Routledge, 2012.
- Hotchkiss, Valerie R. *Clothes Make the Man: Female Cross Dressing in Medieval Europe*. New York, Routledge, 1996. https://doi.org/10.4324/9780203871102
- Hughes, A. B., "Virginity in the Christian Tradition". In *St Andrews Encyclopaedia of Theology*, edited by Brendan N. Wolfe et al., University of St Andrews, 2023, pp. 1-30.
- Jacobus de Voragine, Ryan W.G. and Duffy E., *The Golden Legend: Readings on the Saints*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012.
- Krawiec, R., *Shenoute and the Women of the White Monastery: Egyptian Monasticism in Late Antiquity,* Oxford, Oxford University Press, 2002.
- ----------, *Shenoute and the Women of White Monastery: Egyptian Monasticism in Late Antiquity*. Oxford: Oxford University Press, 2002.

- Mayer, W., *The Homilies of St. John Chrysostom: Provenance: Reshaping the Foundations*. Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2005.
- Meinardus, Otto F. A., *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*. Cairo, American University in Cairo Press, 1999.
- Miller, P.C., *Women in Early Christianity: Translations from Greek Texts.* Washington, D.C., The Catholic University of America Press, 2005.
- Narro, A., "Holy Water and Other Healing Liquids in the Byzantine Collections". *Rhemata Monografias* 3, 2019, pp. 121-144.
- Rautman, M. L., *Daily Life in the Byzantine Empire*. Greenwood Press, 2006.
- Regnault, L., *The Day-to-Day Life of the Desert Fathers in Fourth-Century Egypt*. 1st English Edition. St. Bede's Publications, 1999.
- Riley-Smith, J., *The Crusades: A History*. New Haven, CT: Yale University Press, 2005.
- Roberts, C. M., *Virginity and Marriage in the Early Christian Church*. Master's thesis, University of Georgia, 2016.
- Rousseau, P., *Ascetics, Authority, and the Church in the Age of Jerome and Cassian*. Oxford, Oxford University Press, 1978.
- Schulenburg, J. T., *Forgetful of Their Sex: Female Sanctity and Society, Ca. 500–1000,* Chicago, University of Chicago Press, 1998.
- Sharafeeldean, R. M., "Coptic Medicine and Monastic Health Care System in the Early Centuries of Coptic Christianity". *International Journal of Tourism and Hospitality Management* 2, 2019, pp.72-97.
- Swan, L., *The Forgotten Desert Mothers: Sayings, Lives, and Stories of Early Christian Women*. Paulist Press, 2001.
- Talbot, A., "Life of St. Mary/Marinos". In *Holy Women of Byzantium: Ten Saints' Lives in English,* Washington, D.C.: Dumbarton Oaks, 1996.
- ----------, "Pilgrimage to Healing Shrines: The Evidence of Miracle Accounts." *Dumbarton Oaks Papers* 56, 2002, pp. 153-173.
- The Great Egyptian and Coptic Martyr, The Miraculous Saint Mina. Prepared and published by: Saint Mina Coptic Orthodox Monastery, Mariout, Egypt, 2005.
- Van Doorn-Harder, P., *Contemporary Coptic Nuns*. Columbia, SC: University of South Carolina Press, 1995.
- Vogt, K., "La Moniale Folle du Monastère des Tabennésiotes: Une Interprétation du Chapitre 34 de l'Historia Lausiaca de Pallade." In

Women's Studies of the Christian and Islamic Traditions, Dordrecht, Springer, 1993, pp. 193-216. https://doi.org/10.1007/978-94-011-1664-0_4.
- Ward, B., *Harlots of the Desert: A Study of Repentance in Early Monastic Sources.* Kalamazoo, Michigan, Cistercian Publications Inc., 1987.
- ----------, *The Sayings of the Desert Fathers: The Alphabetical Collection*, Kalamazoo, A.R. Mowbrey, 1975.
- Wilfong, T. G., *Women of Jeme: Lives in a Coptic Town in Late Antique Egypt*. Ann Arbor, Michigan, University of Michigan Press, 2002
- Youssef, Y. N., "Two Liturgical Quotations from Coptic Hagiographical Texts." *Ancient Near Eastern Studies*, Vol. 35, 1998, pp. 145-149.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- أسامة فايز استقلال أحمد، الطب وطرق التدواي في مصر البيزنطية 284 – 642م، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة عين شمس، 2015م.
- إيفيلين هوايت، تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. تعريب بولا البراموسى، أبناء الأنبا موسى الأسود، ج 2، ط 1، 1989م.
- بولين تودري، "رهبنة البنات في الفترة من القرن الثاني إلى القرن الثامن الميلادي"، مجلة راكوتي، جمعية مارمينا العجايبي للدراسات القبطية، الإسكندرية، ع 2، 2006م.
- حكيم أمين، دراسات فى تاريخ الرهبنة والديرية المصرية – مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي، القاهرة، 1963م.
- دي لاسى ايفانز اورلى، قديسو مصر حسب التقويم القبطي، مكتبة المحبة، القاهرة، 2000م.
- راهبات دير الشهيد أبو سيفين بمصر القديمة، العذراء مريم وتاريخ أجيال العذارى، هارموني للطباعة، 2002م.

- رغد عبد النبي جعفر المالكي، "طافوس الرهبان المصريين حتى القرن الخامس للميلاد"، مجلة كلية التربية الأساسية، مج. 21، ع. 91، 2015م، ص 601-628.
- رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارهما الإنسانية على العالم، مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية، 2000م.
- صموئيل قزمان معوض، "بامبو الإسقيطي: سيرة القديسة إيلاريا والقديس أنبا كيروس". مجلة مدرسة الإسكندرية، ع ٢٩، ٢٠٢٠م.
- سهير محمد مليجي، "ظاهرة معجزات القديسين الشفائية في مصر في العصر البيزنطى 284-642م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ع 14، ج1، 2023م، ص 133-180.
- الشهيد المصري مار مينا العجائبي، كنيسة مار جرجس، إعداد بيشوي كامل، ب.ت.
- عبد العزيز رمضان، "صورة المرأة في الأدب الرهباني خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين"، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، مج 31، ع 4، 2014م، ص 241- 282.
- .....، "البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هجيوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الاسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، مج 5، 2007م، ص 33- 97.
- .....، "سياسة أباطرة أسرتي قسطنطين ثيودوسيوس تجاه العروض العامة بين الموروث الروماني والأيديولوجية الكنسية"، حولية المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 2015م، ص 9- 85.
- فاطمة إسماعيل عبد الله عبد الصمد، دور الخصيان فى الدولة البيزنطية فى الفترة من القرن التاسع حتى القرن الحادى عشر الميلادى، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2014م.

- فلتاؤس المقاري، قديسون من دير القديس أنبا مقار ما بين القرن الرابع والقرن الثاني عشر، مراجعة الانبا ابيفانيوس، القاهرة، دار مجلة مرقس، ط 1، 2016م.
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية – القبطية، دار الثقافة العربية، 2007م.
- متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار، دار القديس أنبا مقار، وادي النطرون، ط 3، 1995م.
- محمد عثمان عبد الجليل، "الرهبنة النسائية في مصر البيزنطية من القرن الرابع حتى السابع الميلادي"، مجلة كليـــة الآداب بقنـــا، مصر، مج 9، ع 10، ١٩٩٧م، ص 346 – 379.
- نعمات عبد المبدى على محمد، ثيودورا إمبراطورة الدولة البيزنطية 527–548م، رسالة ماجستير، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس، 2017م.
- نعيمة محمد إبراهيم، "صفحات من تاريخ الضيافة والإحسان في الأديرة المصرية في العصر البيزنطي ودورها في التنمية السياحية"، المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة، جامعة الفيوم، مج 16، ع. 3، 2022م، ص 201 – 233.
- ولاء مختار عبدالعزيز، رهبنة العذارى في مصر: نسك ورهبنة العذارى في مصر حتى القرن السابع الميلادي، مراجعة صموئيل قزمان معوض، مدرسة الإسكندرية، ط1، 2022م.
- يؤانس الأنبا، "تنسك العذارى ورهبنتهن"، منشور في: سمير فوزى جرجس (تحرير)، موسوعة تراث القبط: الإيمان والعبادة والحياة النسكية، دار القديس يوحنا الحبيب للنشر، مج 2، ط1، 2004م.
- يوسف حبيب، القديسة مارينا الراهب، من مخطوطات دير البرموس. د.ن، 1970م.